

# مجلة كلية الآداب



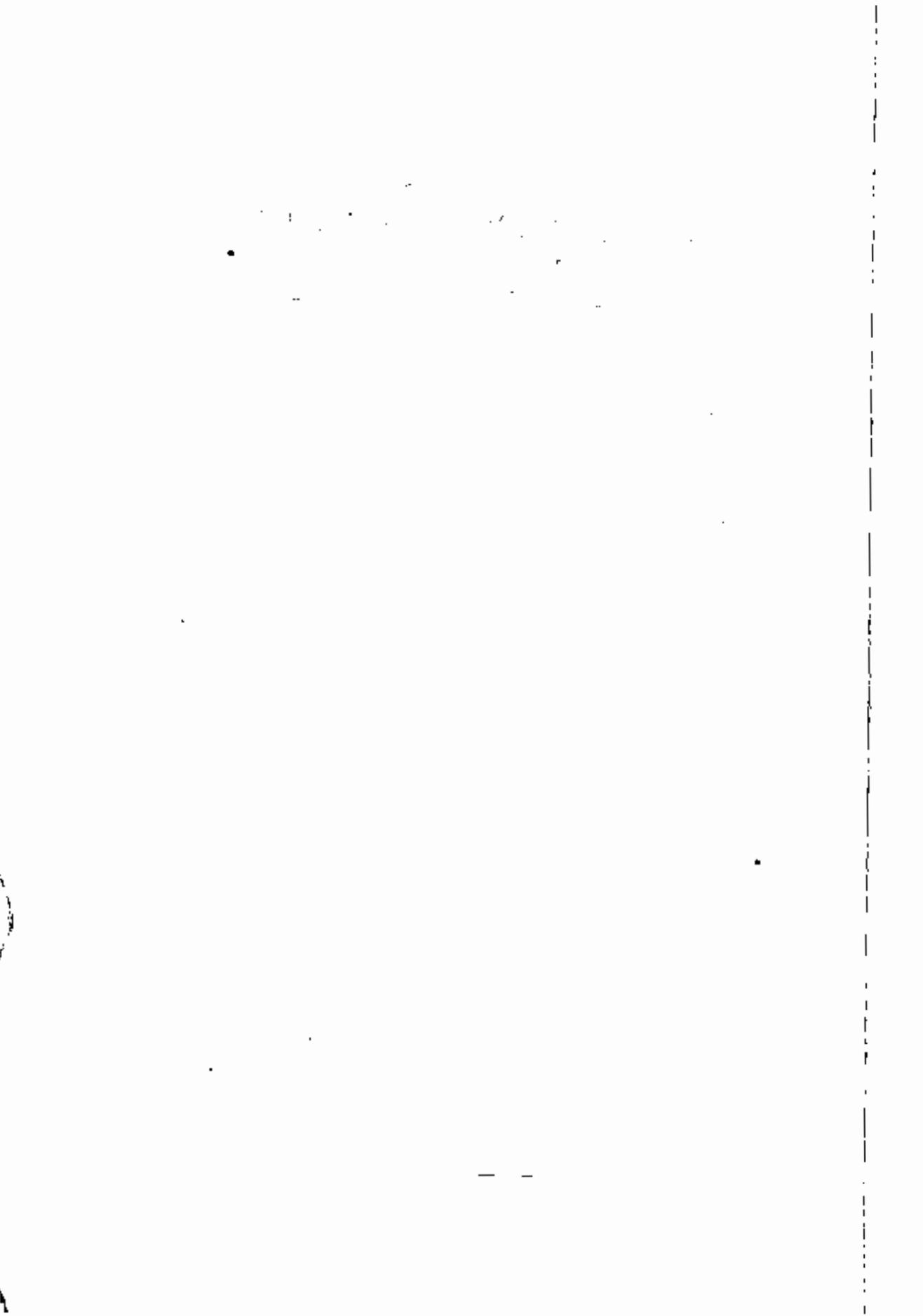
المجلد الثالث عشر

١٩٥٩

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية  
بالناطلي ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية الطيبة الى  
الدكتور جمال الدين الشيال سكرتير التحرير

مطبعة جامعة الإسكندرية

١٩٥٩



## الحركة الأدبية

### في الإسكندرية الحديثة

بقلم عبد الرحمن عالمق - مرم

لا جناح علينا أن ندرس الأدب الإسكندري مستقلاً بذاته عن التيار الأدبي العام في مصر ، فللاسكندرية منذ عصور موعلة في التاريخ شخصية مستقلة كونها مركزها الجغرافي بين الشرق والغرب . فهي تولى وجهها شطر أوروبا وتمدد ذراعها إلى شرق العالم العربي وغربه فتلقى من هذه المنابع جميعا قطرات من الثقافات المتباينة المختلفة ، وتمزج بينها وتنتج لنا نتاجا جديدا . وفيها استقرت أشات من الشعوب المختلفة وخاصة شعوب البحر الأبيض قفها فرنسيون وإيطاليون ، وفيها يونانيون وعرب من شمال افريقية وعرب من الجزيرة وفدوا إبان الحكم العربي أو بعده . فالاسكندرية في تاريخها وشعوبها إذن تمثل لنا تيار الحضارة منذ عهده القديم حتى يومنا هذا ، فهي تمثل لنا الحضارة المصرية القديمة واتصالها بالحضارة اليونانية ثم انتفاعها بالحضارة الرومانية والحضارة العربية شرقيا وغربيا ثم الحضارة الأوربية الحديثة وحركة البعث في مصر والشرق العربي جميعا . وقد لعبت الإسكندرية دورا هاما متميزا في كل هذه العصور ، ولعل أهم دور لعبته في تاريخها هو دور الحضارة اليونانية الذي ظل أربعة قرون تميزت فيه فلسفة نخاصة وأدب خاص يشغل رجال العلم إلى يومنا هذا .

وإذا كان هذا مبررا كافيا لأن ندرس حركة الأدب في الإسكندرية مستقلة فإن هناك مبررا علميا أيضا يفرض علينا تفتيت البيئات الكبرى ودراستها وحدات صغيرة مستقلة . فإن ذلك أحرى أن يكون أكثر دقة وأجدر أن يستقصى المسائل ويكشف عن صغيرها وكبيرها . وما نحن بمبتدعي هذا المنهج ، ولكن لنا أسوة في أوروبا فقد عرفته أوروبا منذ نهاية

القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر عند ما تنبه رجال الأدب الى الألوان المختلفة التي تميز الآداب المحلية واللغات المحلية فدرسوها ، وتنبه رجال الاجتماع الى العادات المحلية وطقوسها فسجلوها وتبعوها وبهذا اكتشف الانسان منابع جديدة يستمد منها أفكارا وتعبيرات جديدة غيرت من وجهة نظره الى الحياة ومن احساسه بها ، ورأى فيها أنواعا من الجمال كانت لا تمتد حواسه اليها من قبل وكان يعرض عنها ايمانا بالثقافة القديمة التي كان يقدسها ويقبل عليها . لا جرم كانت الحركة الرومانتيكية وهي أكبر ثورة فكرية عرفتها الانسانية نتاج هذا الاحساس بما هو محلي .

لا جناح علينا اذن ان ندرس الأدب في الاسكندرية وحدة مستقلة تشارك في التيار الأدبي العام الذي يجري في مصر جميعا والعالم العربي . ولن أحاول في هذا البحث أن أتبع الظواهر العامة التي ميزت انتاج الاسكندرية في تاريخها الطويل فهذا مطلب يقل دونه جهد الرجال . فالشقة بعيدة والطريق مختلف المسالك لو غيرت في أحدها قدما تعثرت في الآخر . ولكني سأقنع بالقليل وأرتضى الحدود الضيقة التي يفرضها عنوان البحث . وسيكون النصف الثاني من القرن التاسع عشر نقطة البداية التي نأخذ الطريق منها . ولكن لكل شيء مقدمات فالنهار مقدمته الفجر والليل مقدمته الغسق والقطر أول الطوفان والنار من مستصغر الشرر . ومقدمة هذه الحركة هي مقدمة الحركة في مصر والشرق العربي جميعا ، فاذا كانت الحملة الفرنسية مظهرا من مظاهر الجشع الأوربي الذي سيطر على هذه القارة منذ القرن الثامن عشر ، ومظهرا من مظاهر تنازع السيطرة على العالم بين القوى الكبرى في ذلك الوقت والرغبة في استعباد الشعوب اقتصاديا واستغلالها فقد كانت أيضا شرارة أطلقتها أوربا لكي تشعل دون وعي منها نارا لا يثمد أوارها الا بعد حين ولا يكون لها ضرام الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد عرف العربي لأول مرة أن هذا الاستقرار والهدوء والانتظام الذي كان قد تعودته - على ما فيه من بؤس وشقاء - شيء لا يدوم ، وأن هذه القوى التركية والمنلوكية التي استعبدهت آمادا

كان لا يذكر بدايتها - فقد نسيها فيما أنسى من الأشياء - قوى بالية نخرة لا تليث أن تنهار أمام القوى الجديدة التي تصطرع في أوروبا ، وأن هذا البنيان الامبراطوري الضخم الذي كان يرتد بصره حيرا دونه بنيان قد نخر فيه الومس لا تليث أن تنقوض دعائمه أمام الهزات الأولى من العالم الجديد . واكتشف ان هذه القوة أضعف ضعفا من أن ترد عن نفسها غائلة هذا العدوان فهي محتاجة الى معاونته هو ومساعدته هو لكي يستقيم أمرها كما كان من قبل . وهنا أخذت الثقة تنسرب الى نفسه وأخذ يحس أن له شخصية مستقلة لها تاريخ طويل نجيد يختلف عن تاريخ هذه القوة ويأيناها وان كان يشترك معها في الدين والفق . اكتشف العربي أيضا الوانا من الحياة لم يكن له بها عهد من قبل وعادات وتقاليد والوانا من الأزياء والتصرفات لم يرها من قبل ، فعرف أن هناك أنواعا من الحياة وزاء الحدود التي تصورهما للعالم وان هذا العالم يمتد الى أبعد مما كان يتصور فتطلع الى هذا العالم الجديد يدفعه حب الاستطلاع والبحث عن عناصر القوة التي جعلت من هذه الدول قوة تستطيع أن تهر هذه القوة التي تغلبت عليه وتمكنت منه آمادا طويلة . وكانت الاستجابة التي تقبل بها الشعب المصري أعمال المصلحين وطموحهم تدل دلالة قاطعة على أن وعيا قوميا كان قد أخذ في الظهور . وأن طموحهم لم يكن الا طموحا شعبيا أحسوا به هم واستقلوه بما استغلل . فتداخل طموحهم الشخصي مع الطموح الشعبي ، أو قل أن طموحهم الشخصي كان صورة متبلورة للطموح الشعبي العام الذي ظل متقدما عندما خبت حياة هؤلاء المصلحين وانطفأت شعلة حيواتهم وبقيت هذه الجذوة متقدة يقدتها أعضاء البعثات وينمونها .

- ٢ -

ثم جد عاملان جديدان<sup>(١)</sup> قفزا بالنهضة الفكرية قفزة واسعة وكان نصيب الاسكندرية منها نصيبا كبيرا ، وأول هذين العاملين كثرة وفود

(١) جورجى زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ الدكتور محمد يوسف نجم - المرجحة في الأدب العربي الحديث القصور الخاصة بالإقليم المصري ، عبد الرحمن الرافعي - الحركة القومية .

للأجانب واستقرار بعضهم في الامكنديرة عند ما بدأ رأس المال الأجنبي يغزو مصر ويسيطر على امكانياتها الاقتصادية وما تبع ذلك من كارثة اقتصادية مكنت لهم وأتاححت لهم السيطرة على معظم مرافق البلاد .

أما العامل الثاني فهو كثرة وفود السوريين واللبنانيين الى مصر هربا من تعسف الأتراك وظلمهم لهم والتماسا للرزق وسعيا وراءه . وهي عناصر نشطة مثقفة ثقافة أوربية عميقة نتيجة للاراساليات التبشيرية التي كانت ترسلها أوروبا اليهم وخاصة فرنسا وأمريكا . وكان الاحتكاك المباشر ببلدين العنصرين عاملا منسقا لهذه اليقظة الفكرية التي تحدث عنها ودافعا قويا للشعب المصري والعناصر العربية في الامكنديرة على الاقبال على الثقافة الأوربية ينهلون منها حتى يسايروا ركب الحضارة ويعرضوا ما فاتهم خلال قرون الركود والحمول .

وكانت مظاهر هذه اليقظة التوية كثيرة متعددة : أولها نشأة الصحافة وكان معظم مؤسسيها من السوريين واللبنانيين . ومن أول هؤلاء سليم الحسوي الذي أصدر بالامكنديرة في ٦ أغسطس سنة ١٨٧٣ صحيفة الكوكب الشرقى ثم أتبعها بأخرى أسماها شعاع الكوكب في سنة ١٨٧٦ . وكانت الأهرام ثاني صحيفة صدرت بالامكنديرة . وقد ظهر العدد الأول منها في ٥ أغسطس سنة ١٨٧٦ . كما أصدر عيد الله النديم مجلة التثقيت والتبكيث سنة ١٨٨١ وهي أول مجلة صدرت بالامكنديرة ؛ ثم أصدر صحيفة الطائف في يولييه سنة ١٨٨١ . وأصدر نجيب حداد وأمين حداد وعبد بدران بعد استقالتهم من الأهرام جريدة لسان العرب . وأصدر سليم مركيس صحيفة المشير في أول نوفمبر سنة ١٨٩٤ لمحاربة الحكومة العثمانية واستبداد السلطان عبد الحميد .

وفي أواخر القرن التاسع عشر قرر أصحاب الأهرام الانتقال بجريدتهم الى اتقاهرة فانفصل عنهم رشيد شمبل وأصدر جريدة البصير سنة ١٨٩٧ . وصدر بعد البصير جريدة وادي النيل لمحمد الكلز في ٢ مايو سنة ١٩٠٨ .

والأهالي لعبد للمقادر حمزه في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٠ والأمة أصدرها توفيق  
طتوس في ٨ أكتوبر سنة ١٩١٥ ثم تولاها عبد اللطيف الصوفاني ورأس  
تحريرها محمد الهلباوي وكانت لسان الحزب الوطني في أعقاب الحرب العالمية .

وظهر من المجلات في يناير سنة ١٨٩٨ مجلة أنيس المجلس لألكسندرية  
أفريقيو وهي سورية الأصل تزوجت يونانيا . وكان يمرر هذه المجلة ابن  
حداد وقد كتب فيها كثير من كتاب العصر وشعرائه وخاصة الشبان منهم ،  
كما ظهرت مجلة الجامعة لفرح أنطون في ٥ مارس سنة ١٨٩٩ . وتميزت  
هذه المجلة بنقل روائع الفكر الفرنسي للكتاب من أمثال جان جاك روسو  
وبرناردين دي سان بيير وريتان . واحتدم الجدل بينه وبين الشيخ محمد عبده  
والشيخ رشيد رضا حول ابن رشد وكان فرح أنطون متأثرا بكتاب ريتان  
عن الفيلسوف العربي .

ولن نستطيع أن نستقصى في هذا البحث كل المجلات التي ظهرت  
في هذه الفترة ، ولكن يكفي أن نذكر أنه ظهر في الاسكندرية مائة  
وسبع وعشرون صحيفة فيما بين سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٢٩ ، كما ظهر اثنتان  
وخون مجلة في هذه الفترة . وأخصب فترة في هذه المرحلة هي الأربعون  
سنة الأولى (١) .

والمظهر الثاني لهذه اليقظة الفكرية هي الترجمة الأدبية . فقد أخرجت  
مطابع الاسكندرية في هذه الفترة - نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن  
العشرين - ما يقرب من تسعين رواية مترجمة عن الفرنسية والانجليزية .  
ومعظم هذه الترجمات عن الفرنسية (٢) . وأهم المؤلفين الانجليز الذين ترجم لهم  
هم شكسبير وريدر هجارد . فقد ترجم لشكسبير رواية روميو وجوليت

(١) الفيكوت فليب دي طرازي - تاريخ الصحافة العربية ؛ صديق شيبوب ، تاريخ  
الصحافة في الاسكندرية مقالان بجريدة البصير عدد ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٤ ، ٦ أكتوبر  
سنة ١٩٥٤

(٢) هذا الإحصاء يعتمد على فهرس المكتبة البلدية .

وزواية هاملت . أما المؤلفون الفرنسيون فهم: تونسون دي تيرابيل - ١٨٧١  
وميشيل زيفاكو - ١٩١٨ واسكتلر دوماس - ١٨٧٠ ولامارتين - ١٨٦٩  
وفيكاتور هيجو - ١٨٨٥ وبول سويتا . وأغلب الذين ترجموا عن الفرنسية كانوا  
من الشوام ! وهم نجيب حداد وسعيد البستاني وسبع شميل واسكندر عمون  
وحنا صاده والكنتره افيرينو والياس فياض وقيصر شميل وداود مرعب  
وشاكر شقير واسكتلر كنعان ويوسف شديد ويوسف خورى وخليل  
مطران وأديب اسحاق . وأهم المترجمين عن الانجليزية هو نقولا رزق الله .  
وهناك من قام بالترجمة من اللغتين مثل طانيوس عبده .

وأهم ما نلاحظه في هذا الاحصاء هو أن معظم هؤلاء المترجمين  
من السوريين واللبنانيين ان لم يكن كلهم . وهناك ملاحظة أخرى نيا يخصص  
بالمؤلفين الذين ترجموا لهم نرجحها الى حينها من هذا البحث .

وثالث هذه المظاهر ظهور المعاهد والجمعيات التي اقتصر بعضها  
على العلم وأخذ الآخر صبغة سياسية أو اجتماعية . وأول هذه المعاهد في الظهور  
هو المعهد المصري<sup>(١)</sup> أو مجلس المعارف المصري . ولم يكن هذا المعهد  
جديدا فقد أنشأه بونابارت في القاهرة ابان الحملة الفرنسية ثم توقف  
عن عمله بذهاب الفرنسيين عن مصر ، وقد أعاد انشاءه في الاسكندرية  
جماعة من رجال العلم بها وقد انشأوه سنة ١٨٥٩ . ثم نقل الى القاهرة  
سنة ١٨٨٠ وكانت لغته الرسمية الفرنسية وان كان أعضاءه من الأجانب  
والوطنيين وكل أبحاثه شرقية ورؤساؤه من الأجانب كان منهم مريت  
باشا ودي شامبور وكولتشي وماسيرو وارين باشا<sup>(٢)</sup> .

ونشأت جمعية مصر الفتاة وكان من أعضائها جمال الدين الأفغانى  
وأديب اسحق وسليم نقاش وعبد الله النديم ونقولا توما وكلهم من رجال

Institut Egyptien. (١)

(٢) لمرة تاريخ هذا المعهد بالتفصيل يراجع مقال لتوفيق اسكاروس ، الهلال سنة ١٩٢١

الفكر وأصحاب الأتلام وأصلروا جريدة مصر الفتاة . وأنشئت جمعية الشبان قبل الثورة العراقية للاحتجاج على التصريح الفرنسي الانجليزي الذي ترتب عليه نشوب الثورة . وطالبت هذه الجمعية بإنشاء بنك وطني حتى تتخلص البلاد من امتثار الأجانب بمرافق البلاد .

وأنشئت بعد ذلك الجمعية الخيرية الاسلامية وهي غير الجمعية الباقية بهذا الاسم الى اليوم . وكانت هذه الجمعية رد فعل لامتثار الأجانب بمرافق البلاد الاقتصادية فتشكلت هذه الجمعية لفتح المدارس لتعليم البن والبنات وتهذيب أخلاقهم على أن تكون تلك المدارس حرة مطلقا كما يستفاد من قانونها المطروح . ومع أن الهدف الأساسي لهذه الجمعية كان هدفا سياسيا اجتماعيا إلا أن أعضاءها كانوا يلتصقون بالجمهور السكندري ليلا يتحدثوا في المواضيع العلمية والتاريخية . وقيل افتتاحها انضم اليها عبد الله النديم فكلفته الجمعية بافتتاح مدرسة . يشرف هو عليها وأعاتته الحكومة بمساعدة مالية ، وأعطته مكانا ينشئ في مدرسته وقد اشترطت الحكومة لاعانتها ألا تقتصر الجمعية على المسلمين فقبرت اسمها الى الجمعية الخيرية المصرية واعتبرت الحكومة المدرسة مدرسة رسمية وصادقت على قانونها . واطرد تقدم الجمعية والمدرسة حتى بدأت الثورة العراقية فانفصل النديم عنها وانضم الى الثورة ثم انفرط عقد الجمعية بعد هذا . وكان من مؤسسي هذه الجمعية حسن منصور والدكتور حسن سرى ومحمد شكري والحاج أمين كيال والشيخ محيي الدين النبهاني ومحمود واصف والشيخ علي ضيف وحسن المصري وعبد الهيد عمر شويطي<sup>(١)</sup> . وتأتي أهمية هذه الجمعية من مجموعة الأدباء والخطباء الذين كانوا يقدون على دار الجمعية ، ويكفي أن نذكر أن عبد الله النديم وأحمد سنير وأديب اسحق وإبراهيم اللقاني وأحمد العوام كانوا من هؤلاء .

وأنشئت أيضا جمعية العروة الوثقى الاسلامية سنة ١٨٩١ للقيام بالأعمال الخيرية ونشر العلوم والمعارف والآداب والصنائع وتعليم الفقراء مجاناً

(١) يلاحظ أن معظم القائمين بهذا النشاط كانوا من الوطنيين .

والإعانة على تربيتهم . وكانت تجمع إيراداتها من اشتراكات أعضائها  
وتبرعات المحسنين . وتنقسم أعمالها إلى أقسام أهمها التعليم . وقد أنشأت لذلك  
المدارس الابتدائية والثانوية والتحضيرية والصناعية للذكور والإناث ،  
وأنشأت مدرسة صناعية لازالت قائمة إلى اليوم وهي مدرسة محمد علي  
الصناعية يتعلم فيها الطلاب أهم الصناعات كالنجارة والحداة والسروجية  
والنقش وصنع الأحذية مع مبادئ الحساب والهندسة والكيمياء والطبيعة .  
وأنشأت أيضا ملجأ للأيتام اللقطاء اسمه الملجأ العباسي . وقد انضم إلى هذه  
الجمعية جمعية أخرى كانت قد أنشئت في ذلك الوقت وهي جمعية حماية الأطفال .

ثم تأسست جمعية الاخلاص سنة ١٨٩٥ برئاسة محمد طاهر ولكنها  
لم تلبث أن انضمت إلى جمعية العروة الوثقى ، ثم توالى بعد ذلك انشاء  
الجمعيات والأندية . ولعل أهم ناد أنشئ بعد ذلك هو نادى موظفى الحكومة  
الذى أنشئ سنة ١٩٠٩ . فقد كان هذا النادى جامعة أهلية تلقى فيه الخطب  
والمحاضرات في العلم والأدب وتمثل فيه الروايات الأدبية . وكانت تلقى  
في النادى دروس لطلبة الكالوريا وليسانس الحقوق . وقد تخرج منه كثيرون  
ومنهم نشأت مشروعات اجتماعية عظيمة . فقد تأسست فيه جمعية المواصاة  
الاسلامية ونقابة مستخدمي الحكومة وشركة المشروعات الأهلية وشركة  
التعاون المنزلى لموظفى الحكومة ونادى الرياضة البدنية ولجنة تمثيل . وكان  
لهذا النادى لجنة إدارية مؤلفة من ١٢ عضوا لإدارته منهم عثمان باشا مرتضى  
ووكيلاها محمد بك مالك الاسكندري ومحمد بك الجمل وبلغ عدد المشتركين  
فيه اذ ذلك ٢٥٠ عضوا .

والمظهر الرابع<sup>(١)</sup> من مظاهر هذا الوعي القومى هو انشاء جمعيات التمثيل  
وتكوين فرقها . وقد شارك السوريون والبنانيون بسهم وافر . وأقدم  
هذه الجمعيات هي جمعية ألفها عبد الله التديم من تلاميذ المدرسة الخيرية

(١) تراجع لذلك الدكتور محمد يوسف نجم ، المسرحية في الأدب العربى الحديث الفصل  
الخاصة بالتمثيل في مصر .

الاسلامية وقد مثلت روايات ثلاث على مسرح زيزينيا . وقد حضر الخديوي هذه الروايات وهي رواية الوطن والثانية روايح العرب والثالثة مصر وطالع التوفيق . وكلها يرى الى غرض سياسي وكلها من تأليف عبد الله النديم . وكانت هذه الروايات - وخاصة الثانية منها - ترمى الى أغراض وطنية بحثة ، وأشارت الثالثة الى التقهقر العظيم الذي أصاب مصر في عهد الخديوي توفيق ودعت الى مناهضة الأجانب فحلت الحكومة الجمعية .

وفي سنة ١٨٧٦ حضر الى الاسكندرية أديب اسحق وسليم نقاش على رأس فرقة من الممثلين وقدا مسرحيات عديدة على مسرح زيزينيا منها مسرحيتا اندرومك وشارلمان وهما من ترجمة أديب اسحق . وألف نجيب حداد فرقة أخرى في ذلك الوقت وترجم وألف لها أكثر من عشرين رواية اشترك في التمثيل فيها والفتاه الشيخ سلامه حجازي .

وتألفت جمعيات أخرى لترويج التمثيل بين الناس مثل جمعية الإبتهاج الأدبي أنشئت سنة ١٨٩٤ وقد ألفها مستخدمو اليوسطة المصرية برئاسة سليم عطا الله . وكان هدف هذه الجمعية هدفا أخلاقيا فقد كانت ترمى الى منع أعضائها من تضييع ساعات الفراغ في أماكن اللهو ، وتفرض عليهم أن يجمعوا من المال ما يكفي لأن يؤثروا فرقا تمثل روايات أدبية يحضرها عائلات الأفراد فقط ، وقد ظلت عاملة أعواما طويلة ثم طواها النسيان . ثم أنشئت جمعية الترقى الأدبي وشركة التمثيل الأدبي وجمعية المعارف الأدبية التي أنشئت في عام ١٩٠٠

والمظهر الخامس لهذا الوعي القومي هو انشاء المكتبات العامة . وأول مكتبة أنشئت في الاسكندرية أنشأها المجلس البلدي في ١٤ يولييه سنة ١٨٩٢ وعين لقسمها الأوربي أمينا سويسريا هو فكتور لوريس ، وعين بها الشيخ أحمد أبو على الأزهرى أمينا للقسم العربي . وكانت في أول نشأتها تحتل حجرة صغيرة في المتحف الاسكندري ثم نقلت الى دار البلدية ومنها الى بناء في شارع أبي الدرداء وبعد ذلك نقلت الى مكانها الحالي . ولم يكن بها

في أول أمرها إلا بضع عشرات من الكتب الأفرنجية نسي أمينها العربي إلى الاستكثار من الكتب العربية فأهدتها الحكومة ٤١٣ كتاباً عربياً من مطبوعات بولاق وكانت هذه فاتحة القسم الغربي بها ثم اطردها بعد ذلك .

- ٣ -

كل هذه المظاهر كانت دلائل يقظة قوية واحساس عميق بالرغبة في التطور صاحبها تطور عمراني ضخم<sup>(١)</sup> . وكانت تهدف جميعاً إلى أهداف سياسية واجتماعية واقتصادية وتعليمية وثقافية ونشر الوعي القومي بين أفراد الشعب مجازاة لما كانت عليه الدول الأوروبية . وإذا كانت هذه المظاهر دلائل على هذه اليقظة القوية فإنها كانت في نفس الوقت عوامل قوية لهضة الأدب والبيئة الأدبية الضرورية لمثل هذه النهضة . وبما كانت تنشر من أفكار جديدة هيأت مادة جديدة للأديب أن بصوغها وهيأت فئة جديدة مستعدة لتلقى هذه الاتجاهات الجديدة في الأدب . وقد اشتركت هذه العوامل جميعاً في خلق هذه البيئة . أما الصحافة والترجمة فقد كانتا العاملين الأساسيين اللذين أفادا الأديب أداة خاصة إذ كشفت الترجمة عن امكانيات جديدة في اللغة العربية بما أوضحت له من قدرتها على التعبير عن الأفكار الجديدة . وقد اشتركت الصحافة معها في هذا المضمار .

أما تأثير الصحافة فيتضح من هذا النص الذي نقلته من مقال كتبه أديب اسحق بقديم به جريدته يقول<sup>(٢)</sup> : « وأنشأت هذه الجريدة على علمي بقلة اطلاعي وتزارة بضاعتي وأوجبت على نفسي فيها أمراً وتجايفت عن الرغبة في أمور مراعيها على كل حال حقوق الانسانية والوطن واللغة معنياً يجعل سيرى موافقاً لسير المعارف في هذه الأقطار ، ورأيت من الواجب على :

(١) يراجع في ذلك محمد مسعود المنحة الدهرية في تخطيط مدينة الإسكندرية .

(٢) أنظر أديب اسحق ، الدرر ص ١٤٠

(أولاً) أن أصرف العناية والاجتهاد الى تهذيب العبارة وتقريب  
 الاشارة لتقرير المعنى في الافهام من أقرب وأعذب وجوه الكلام وانتقاء  
 اللفظ الرشيق للمعنى الرقيق متجنباً ما كان من الكلام غريباً وحشياً أو مبتدلاً  
 سوقياً . فان التهافت على الغريب عجز ، وفساد التركيب بالخروج عن دائرة  
 الانشاء دله اذا سرى في القراء والطالين أدى الى فساد عام وأغلق على الطلبة  
 معاني كتب العلم . والتنازل الى ألفاظ العامة يقضى بامانة اللغة واضاعة محاسنها  
 وان في لغة القوم لدليلاً على حالهم .

(وثانياً) أن أسير في السبابة سيرة محب لوطنه لا تأخذه فيه لومة  
 لائم ، وناقل عدل لا يتجاوز به الميل جانبا الانصاف ولا يحمله الغرض  
 على المنارة والأرجاف . وراوثة لا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى في ما علم .  
 واذا رضى لم يقل غير الصدق ، واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق وصديق  
 رفيق بأهل دياره ولغته يروى لهم الوقائع متجنباً اليأس اللفظ الموجب لتفور  
 النفوس وكسر الخواطر متجافياً عن نشر الأباطيل والترهات مما يتهافت عليه  
 المبطلون من أجل الأغراض ، ملتزماً احياء الهمم في أهل هذه اللغة ، داعياً  
 الى التعاون والتوازر على خطب الشرف واستجلاب العزة ودفع المعرة ،  
 ملتصقاً بقوة الروابط ، مجتهداً في دفع العداوات المبنية على الأوهام الموجبة  
 لزوال السعادة ، مقاوما كل عنيد يسمى في ايقاع الفتن واحداث الشقاق ،  
 متجملاً من كل باغ أشرب في قلبه حب البخل تحاملاً لو وافقنى الطبع  
 على مقابلته بمثله لمتى أن لا يكون شيئاً موجوداً ، صابراً على أذى كل جاهل  
 غوى همه ابدال الحق بالباطل وادالة الحسن من القبيح وتغيير الصلاح  
 بالفساد معرضاً عن كل أحق أمة لم يستضيء بنور العلم ولم يلبجأ الى ركن  
 وثيق . فهو يتبع كل ناعق ويميل مع كل ريح دافعا بصلاح الحق عن الحق  
 قوما جهلاء تهادوا في غيهم وأسرفوا في تحاملهم حتى ملهم الباطل وسثمهم  
 النفاق بعد أن نبذهم الحق ولفظهم الصدق فقاتهم هذا ولم يبلغوا ذاك فلم يرض  
 بهم العالم ولا الجاهل ولا الظالم ولا العادل . ولو رزقوا ساعة احراك فنظروا  
 ما قدمت أيديهم لقالوا يا ليتنا كنا تراباً .

(وثالثا) أن أفضى واجبات الجرائد بنشر المقالات العلمية والأدبية تنبها للخواطر وتوثيقا للأخلاق . وقد اقتصصت هذا الباب بمعظم العناية لأنه علم يستفيد منه العالم والجاهل والكبير والصغير . وذلك لأن العالم غير متناه ؛ فانه نتيجة حركة الفكر الناشئة عن الحركة العلمية التي يستحيل انعدامها لتعين انعدام الثمان عليه . وهو بالبداية مستحيل خلافا لكل مغرور يزعم أن من تعلم مسألة من العلم أو مسألتين صار في غنى عن مطالعة الطالب العلمية . وأيم الله لو بقى الانسان في سلسلته الكلية ألوف ألوف من السنين مستكشفا في كل يوم ألوف ألوف من المسائل . وفاتحا كل أسبوع بابا من أبواب العلم لما تجاوز الخطوة الأولى من سيره في هذا المجال الواسع ، وكذلك الآداب فانها مما يفترض اليه الناس على اختلاف مراتبهم لأن استقامة الأخلاق غاية في الصعوبة وأصعب منها الفرق بين حسنها وقبيحها . أم ترى أن الانسان اذا نظر بمجهر عقل الكل لا يستطيع أن يميز بين الوقار والتكبر ، وبين التواضع والدلة ، وبين الشجاعة والتهور ، وبين الاقتصاد والبخل ، وبين التبذير والسخاء وان عاش عمرا طويلا . وان الانسان ولوع بحب ذاته ، عزوف عن الحكم بقبح ما اتصف به ، كما ترى ذلك فيمن يعترض علينا في هذا المقال وأنه محل للغفلة . وهو والحالة هذه محتاج أبدا إلى منبه ومذكر ومبين للأخلاق » ...

يحدد أديب احمق في هذا النص هدف الصحافة وهو في نظره هدف أخلاقي سياسي أدبي تعليمي ، والذي يهمننا من الناحية الأدبية هو الهدف الأول والهدف الثالث . ففي الثالث يتحدث عن نشر المقالات الأدبية والعلمية . وهذا في حد ذاته منشط للأدب ، كما أنه يعين على خلق البيئة الأدبية . وخلق الأفكار الجديدة فيها وتقديمها الى الأديب لكي يصوغها .

أما الهدف الأول فلعله أخطر هذه الأهداف من الناحية الأدبية ، فهنا يهدف الصحفي الى خلق لغة مناسبة للعصر . وهي لغة بسيطة غير معقدة مناسبة للمعاني متجنبية الغريب الوحشي أو المتبذل السوقي . وهو يرى أن في انتشار مثل هذا الغريب مفصلة للذوق اللغوي . وهكذا دعا أديب احمق الى نخل اللغة وانتقاء الصالح

البيسط المناسب للذوق منها . وقد أشار الى عملية الانتقاء هذه في مقال آخر عن واجبات الجرائد نورد منه النص الآتي : "ومنها (أى الواجبات) تهذيب العبارة ، وتقريب الاشارة ، وتقريب المعنى في الافهام ، واطراح ما يتجافى من اللفظ عن مضاجع الرقة ، وما كان منه غريبا نفر منه الخواطر وتشمز النفوس . فانه لا عذر لمن يقول عقتل وفي اللغة كتيب وقدموس وفيها قديم والشعر المنصرم وفيها الماضي والسابق والغابر والمنسلخ والمنحسم وكثير غيرها . وذلك مع تجنبنا مبتذل الكلام وموقيه ، واطراحنا فاسد التركيب وعاميه ، فانه داء اذا سرى في عامة الناس أمانت اللغة وأغلق على الطلبة معاني كتب العلم . ولا أزيد بها القارىء علما أنها كنوز لا توصف نفاسة ولا تعد كثرة .

على أننا لا ننكر أن لحركة العصر حكما قاطعا ، ولا اصطلاح أهله قضاء نافذا ، وان كاتبنا في هذا الزمان لا يستطيع أن يتلو تلو السابقين من المولدين والمتقدمين فان علمهم كان زائدا عن حاجات عصرهم ، أما هو فحاجات عصره تزيد عن علمه وذلك فضلا عن الترجمة وتشعب مذاهبها فانها الغاية التي تبارى اليها كتاب هذا العصر ويتسابقون ولكن قليل ما يدركون " .

من هذا النص - وغيره كثير - يتضح أن الصحافة كانت ترى الى خلق لغة جديدة تلائم العصر ، وما يتطلبه من تعبير مباشر دقيق ومن مناسبة بين المعنى وبينه . وكانت تحاول أيضا أن تجارى الذوق اللغوى العام وذلك عن طريق البحث في اللغة وانتقاء الكلمات التي تتفق وهذه الأغراض . كما كان من أهدافها أن تنقل الأفكار الأوربية وهي تشترك مع الترجمة في هذا الهدف ، ولكن الشيء الذي لم يتيسر للترجمة أن تفعله والذي استغلت به الصحافة وكان له أبعاد الأثر في لغة الأدب هو أن الصحافة استطاعت أن تعبر عن أفكار جديدة كل الجدة ولدها الكتاب من الأفكار الأوربية . وهذا كشفت الصحافة عن امكانيات أخرى جديدة للغة العربية لم يتيسر للعوامل الأخرى أن تكتشفها .

(١) المرجع السابق ص ١٠٨

وهكذا تهيأت بيئة جديدة نشأت في أحضان الثقافة القديمة من حيث لغتها ودينها وأدبها وقيمها ومثلها ، ولكنها اتصلت بالأفكار الأوروبية . وتأثرت في أهلها هذه الأفكار تأثيراً قوياً فعلاً فزعزع إيمانهم بمثلهم القديمة وبالقيم التي خلفها أبائهم وأجدادهم . وتغيرت نظرهم للحياة وازادت حساسيتهم بها ، ورأوا فيها أنواعاً من العواطف والأخلاق والمشاعر لم يتنبهوا إليها من قبل ولم يكن لهم بالصور التي تتخذها عهد . وهزت هذه الأفكار الجديدة روادك النفوس وفتحت اغلاقها على ساحة من الألم تفتح المظل عليها بشواطئ من نار فلا يملك نفسه من التراجع والتوجع فأصبحت بالقلق والردد بين ماض عتيق ومستقبل مريب وقد بعدت المسافة فيها بين اعتقاد الناس فيما يجب أن يكون مابين ما هو كائن ، ووجد أهلها أن البون شاسع بين المثل التي ترسمها<sup>(١)</sup> هذه الأفكار وبين واقع حياتهم . واضطربت في نفوسهم آمال لم يروا السبيل الى تحقيقها هيئاً سهلاً ولم يجدوا إليها طريقاً واضحاً بينما يستطيعون أن يطرقيه فيأخذهم الى ما كانوا يطمحون إليه ، فانتهام الشك في أنفسهم وفي التراث والقيم التي عاشوا عليها أمداً ، واتهموا هذه القيم والمثل القديمة فناروا عليها .

ولكن مهما يكن من شأن هذه البيئة فقد كانت بيئة جديدة ، خلقتها هذه العوامل الطارئة الدخيلة التي جددت على المجتمع في الاسكندرية ، وهي بيئة تطالب بالتجديد وتمس بالحاجة الى تعبير جديد . واستقامت الأدوات الشعرية لكي يظهر الشاعر الجديد الذي يستطيع أن يتجاوب مع هذه البيئة الجديدة . فانتشرت الأفكار الجديدة التي يستطيع أن يستغلها نقلاً أو توليداً منها ، وتيسرت اللغة ومرنت على التعبير عن هذه الأفكار . وهكذا تهيأ المسرح للمثل الجديد أن يظهر ويواجه جمهوره . وقد فعل .

(١) راجع مقدمة ديوان المازن ج ١ وتفصل اول من كتاب صبحي وحيد المسألة المصرية .

ولكننا قبل أن نعرض لهذه النظرية الجديدة يجب أن نعالج أمرين هامين حتى نتضح معالم هذه النظرية الشعرية أو الأدبية عامة وتبين ملامحها . وأول هذين الأمرين - وسنعالجهما بشكل عام - هو طبيعة هذه الأفكار الجديدة أو على الأصح مصادر هذه الأفكار الجديدة . والأمر الثاني هو وصف البيئة الأدبية القديمة التي نارت عليها النظرية الجديدة وأصحابها .

أما عن الأمر الأول فراجعته كثيرة متعددة ، ومسالكة متشعبة ، وحصر المادة فيه جهد تذل منه أعناق الرجال . ولكننا سنكتفى بالقليل الدال ، ونضرب صفحا عن الكثير المتشعب ، إذ هذا جهد الباحث المرؤود وموضعه كتاب وليس بحثا . وسيكون عوننا على تجلية هذا الأمر مجموعة مقالات لأحد كبار رجال الصحافة في الاسكندرية وهو أديب اصحق وهو كتاب اسمه الدرر ثم الترجمات العربية . ومن هذه المقالات - إذا انتخبنا منها ما كتبه في الاسكندرية - مقالات في الحرية وتعريفها ، الحرية الفردية والنياسية والتعصب والتساهل والملك والرعية والأمة والوطن والأمانى الوطنية والامتداد والحرية ، وعن الانتخابات عند الدول ومقالات في التاريخ للأمة المصرية ، ومقالات في الفلسفة ومذاهبها ، ومقالات في الكتابة والتعليم وانتشاره ومجانيته . وهو يشير في هذه المقالات الى المذاهب السياسية التي اصطرعت في أوروبا في ذلك العصر كالاشرابية والقومية والأحرار والديمقراطية . أما في الفلسفة فهو يتحدث عن الوضعية والمثالية والمادية والأخلاق فيتحدث عن الواجب والحق وأقسام الواجب والحق والحقوق والواجبات الطبيعية والحقوق والواجبات الذاتية والحقوق والواجبات النوعية والفضائل وعلاقة السياسة بالأخلاق . ويكتب سلسلة من المقالات يحاول فيها التوفيق بين المذاهب الفلسفية المختلفة ويثبت فيها ان الاختلاف فيما بينها اختلاف شكلي غير حقيقي إذا نظر فيه الباحث المدقق . فيقول (١) :

• يزعم بعض الناس أن الفلاسفة قد اختلفوا وتناقضوا وتغايرت آراؤهم

(١) أديب اصحق ، الدرر ص ٤٧٠

في كل زمان حتى امتنع احصاء مذاهبهم وامتنعوا مشاربهم. وسيظهر هذا الكتاب لمن تجلّد لتصفحة فساد هذا المقال .

وإذا استعرضنا الفلاسفة الذين يقتبس من كتاباتهم للتدليل على آرائه فنجد أنه يخلط بينهم أيضا ؛ فسنراه يقتبس من أفلاطون وأرسطو واجست كونت واميل لتره وجان جاك روسو ومونتسكيه .

وإذا نظرنا الى الترجمة فنجد أن المترجمين كانوا يمثلون هذا الاتجاه أيضا . فهي ترجمة لكذب وقعت تحت أيديهم فقرأوها وأعجبوا بها ورأوا أن في ترجمتها متعة لأنفسهم وللقرءاء . ولم تكن ترجمة تصدر عن إيمان بملء فمعين فقد ترجموا للرومانتيكيين كلامرتين وهيجو وللفنيتين وللمزيبين والبارناسيين والكلاسيكيين .

والذي لم يتنبه اليه القراء بعد ذلك أن المذاهب الفلسفية المختلفة تصدر عن مسلمات ومفاهيمات تختلف فيما بينها وتؤدي الى نتائج في الأخلاق والسياسة والاجتماع بعيدة المدى وأن أثرها في الأدب بعيد الغور<sup>(1)</sup> . فالو ضعيون يسلّمون بوجود الأشياء وجودا حيا منفصلا عن الانسان ، والمثاليون والنفيون لا يؤمنون بوجود خارجي لتلك الأشياء ولا يعترفون بها كحقيقة في ذاتها وانما يرونها صورا ذهنية عند الانسان وترجع حقيقتها الى هذه الصور أو الانعكاسات لصور مثالية مجردة بعيدة عن عالمنا المحسوس . والوضعيون يرون في معطيات الحواس وسيلة فعالة لتحقيق صور الأشياء الذهنية ، بينما يرى المثاليون والنفيون أن تلك الصور الذهنية لا تستطيع الحواس أن تحققها بل تقتصر على أحداث وقعها في الذهن ويتمايز ذلك الوقع بتمايز الأشياء . وعلى أساس كل من وجهتي النظر الفلسفتين السابقتين ظهر في الشعر المذهب البارناسي القائم على عنصر البلاستيك أي التجسيم . وهم يطلبون الى الشعر تصوير تلك المحسّسات بفضل معطيات الحواس

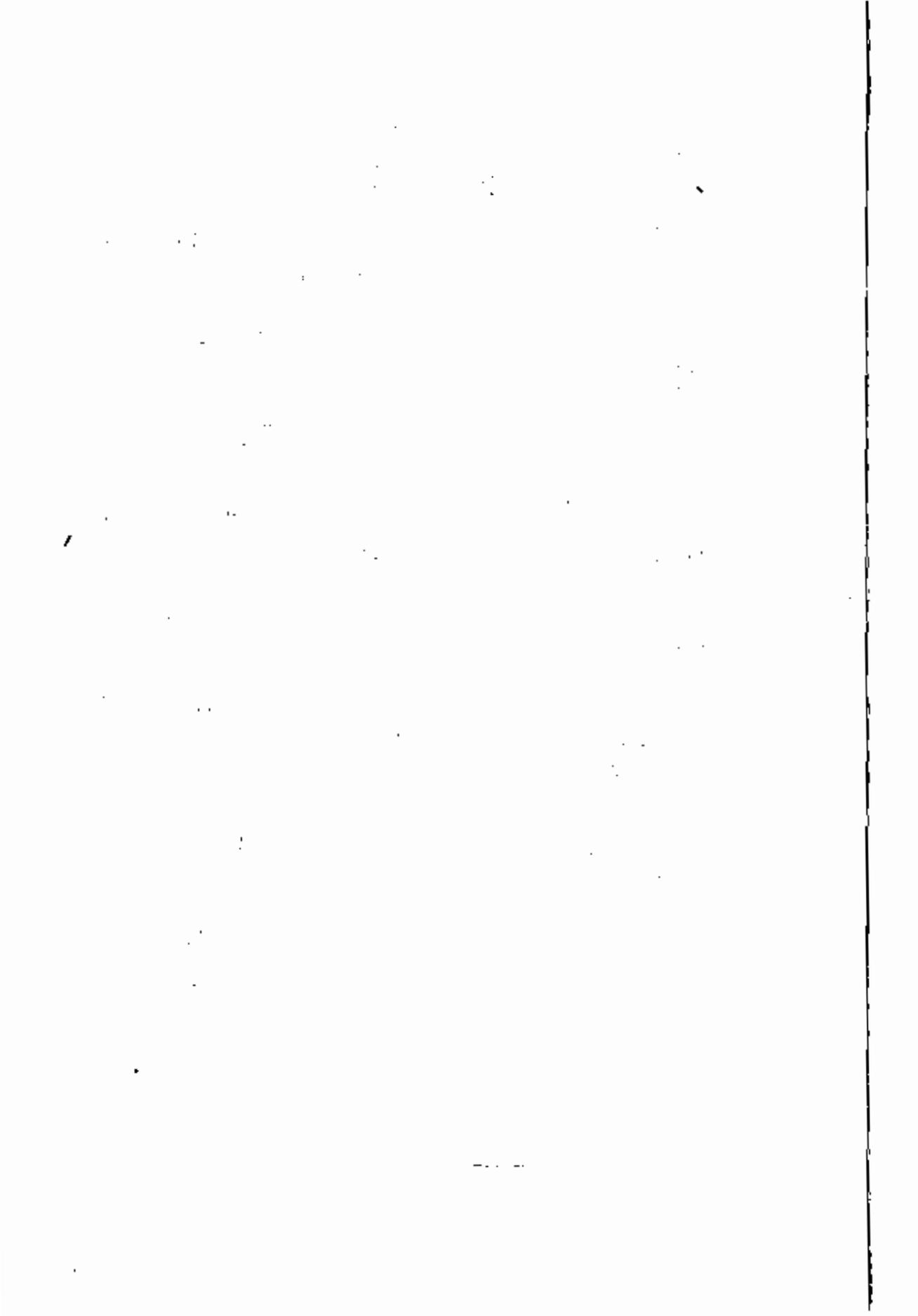
(1) محمد مندور - المذاهب الأدبية - فصل الرمزية ، والوضعية .

## فهرس القسم العربى

- ١ - عبد المحسن عاطف سلام  
الحركة الأدبية فى الاسكندرية الحديثة ... .. ١
- ٢ - السيد أحمد خليل  
مصر فى تاريخ التحرر ... .. ٥١
- ٣ - السيد محمد بدوى  
أسول الملعب الاجتماعى فى دراسة الأخلاق ... .. ٧٣
- ٤ - محمد عبد المرز نصر  
فكرة الإسلام فى الملاحظات التولية ... .. ١٠١
- ٥ - عبد الحميد صبره  
« برهان » نصير الدين الطوسى على مصافرة إقليدس الخامسة ... ١٣٣
- ٦ - أحمد أبو زيد  
نظام طبقات العمر ، دراسة فى الانثروبولوجيا المقارنة ... .. ١٧١

### المؤتمرات

- ٧ - محمد خلف الله أحمد  
تقرير عن مؤتمر طشقند للكتاب الأسيويين والإفريقيين (أكتوبر ١٩٥٨) ٢١٥
- ٨ - جمال الدين الشيال  
تقرير عن " مؤتمر سرقة التأليف التاريخى فى الشرقين الأدنى والأوسط " (يوليو ١٩٥٨) ... .. ٢٢٧



التي هي أبواب النفس البشرية التي تطل منها على العالم . وذلك بينما يرى الرمزيون وأنصار الشعر الصافي أن وظيفة الشعر إنما هي نقل وقع الأشياء من نفس الى نفس . فالشعر عدوى وتقل حالات نفسية لا تجسيم أو تفسير أو نقل معان أو صور محددة ، ولذلك يقولون بنظرية العلاقات التي عبر عنها الشاعر الفرنسي بودلير بيت من الشعر يقول فيه ما ترجمته « ان العطور والألوان والأصوات تتجاوب » . فهني تتبادل ويحل بعضها محل بعض في احداث الوقع النفسى الواحد بحيث يستطيع الشاعر أن يصف مرثيا بصفة ملموس . فيقول مثلا عن النماء المغطاة بسحب رمادية بيضاء ان لونها كان في نعومة التؤلؤ . واللون لا يعبر عنه في اللغة التقليدية بالنعومة ولكننا مع ذلك نحس بقوة التعبير وبخاصة من الناحية النفسية اذ نزاه ينقل الى نفوسنا احساس الشاعر الحقيقي ووقع ما رأى في نفسه . وهذا اتجاه له أصوله في حقائق اللغة ووظائفها بل وفي اللغة التقليدية ذاتها حتى لرى شاعرا تقليديا عريقا كالأستاذ على الجارم يقع متأثرا بهذا الاتجاه الجديد أو مساقا بشعوره الغلاب على مثل هذه العبارات فيقول :

أسوان تعرفه اذا اختلط الدجى بالنيرة السوداء في أناته

فالنيرة صوت ، والتقليد لم يعبر بوصف الأصوات بالألوان لاختلاف الحاسة ومع ذلك يصف الجارم تلك النيرة بأنها سوداء فيكسب تعبيره قوة شاعرية نافذة ناجحة في احداث العدوى ونقل الحالة النفسية من الشاعر الى القارئ أو السامع .

لم يكن هناك اذن مذهب معين آمن به نقلة الفكر الأوروبي صحفين كانوا أم مترجمين ، بل كانت هناك أخلاط وأشتات من المذاهب الأوروبية المختلفة . وتميز بهذا الخلط أيضا أولئك الذين ملكوا ناصية هذه اللغات الأوروبية واستطاعوا أن يقرأوا كتاباتها بلغتها الأصلية . هذه ظاهرة نجدتها في كل الكتاب الذين حاولوا التجديد فنجدها ظاهرة في كتابات العقاد والمازنى وشكري ، ولكنها مع ذلك كانت ذات أثر فعال في تحويل مجرى الأدب ومفهومه .

أما عن الأمر الثاني فيكفي أن نقبس نصا من مقال نشره العقاد في الفصول ليصور فيه لنا ما كان عليه أسلوب الأدب في هذا العصر ثم نشير الى الموضوعات معتمدين على أحد دواوين الشعراء . يقول العقاد (١) : « وأما الشعر فكان لا يقصد به غير الوزن والاستكثار من عسنت الصنعة فتلأوه بالثورية والكنابة والجناس والترصيع وجعلوا قضائهم كلها كأنها شواهد نظمها ليفرضوا بها كتب البيان والبدیع ، وظهر في الشعر التطريز والتصحيف والتشطير والتخميس ، وراح الشعراء يتبارون في اللعب بالألفاظ وجمعها كما يتبارى الأطفال في جمع الحصى الملون وتنزيده ، وكان الشاعر منهم يلاحق البيت بالبيت أو يشبك المصراع بالمصراع ويخلط كلامه بكلام غيره وهو لا يحسب أنه يخل بروح الشعر لأنه يلتزم حرف الروي في كل بيت وعروض البحر في كل قصيدة » .

هذا من ناحية الأسلوب أما من ناحية الموضوعات فيكفي أن نشير الى ديوان الصيرفي المنشور سنة ١٩٠٨ لكي ينكشف لنا نوع الموضوعات التي كان يطرقها الشعراء في ذلك العصر . فهو يقسم ديوانه الى أبواب وهذه الأبواب هي باب المدائح النبوية ، وباب المدائح الخديوية ، وباب مدائح الاخوان والأصحاب ، وباب الهاني بالمراليد والأعراس ، وباب التشطير والتخميس وغيرهما وباب مظاهرات الأدباء وباب المراثي . ولست في حاجة لأن أسوق أمثلة من هذا الشعر لكي نتبين مدى الجمود الذي كان قد وصل اليه وتبين لنا عناصر ما رفضه المذهب الجديد فهو في أسلوبه وموضوعاته يدل على ضيق في الأفق ، وضعف في الثقافة ، وموات لشعلة الحياة في نفس الشاعر وانطفاء لجذوة الحساسية فيه . ويدل على ايمان بأن الحياة غذاء وشراب وألقاب لا مجال للروحانية فيها ولا للعواطف الانسانية الجميلة والانفعالات المختلفة التي تجميش في صدور الناس . وغريب أن يصلر ديوان كهذا فلا نجد فيه ما يدل على أن الشاعر قد استجاب لمنظر جميل أو وجه مشرق صبوح أو بحر تضطرب أمواجه أو وردة تتفتح أو تؤذن

(١) راجع محمد مندور الشعر المصري بعد شوق ص ٤

بالذبول أو شمس تشرق أو تؤذن بالمغيب . ونعس في تصيدة له يصف فيها "البالو" وهو موضوع طرده كثير من شعراء ذلك العصر - ومنهم شوقي - أنه يصف قطعة من المومياة لا حياة فيها . على مثل هذا الشعر موضوعات وأسلوبا ناز الشعراء المجددون وكانت ثورتهم رفضا للقيم التي صدر عنها هذا النوع من الشعر ان كانت هناك قيم على الاطلاق .

- ٥ -

وتعالج النظرية موضوعات مختلفة : فتحدث عن الشاعر من يكون وعن الثقافة اللازمة له ، وعن نوع الحياة الذي يجب أن يعيشه ، ثم تتحدث عن ماهية الشعر وعن وظيفته وعن لغته وأوزانه . ولا تصدر هذه النظرية منسقة منظمة كما ذكرتها الآن ، ولكنها أشبات من الآراء نجدتها متناثرة في كلام الشاعر : في مقدماته أو شعره . وهي لا تتضح الا اذا قارنا بين النصوص المختلفة ، واستعنا ببعض الشعراء على بعض حتى نستجلي ما نمض من كلامهم ؛ ولكنها على أية حال نظرية منسقة منتظمة وهي عند التطبيق ومقارنة الشعر الذي صدر عنها بها نظرية واضحة المعالم متميزة النمط .

ومصادرنا لاستجلاء هذه النظرية هي دواوين الشعراء المختلفة مقدماتها وشعرها : فنصين بدواوين عبد الرحمن شكرى السئة وقد نشر الأول منها سنة ١٩٠٨ والثاني سنة ١٩١٣ والثالث سنة ١٩١٥ والرابع سنة ١٩١٦ والخامس سنة ١٩١٦ أيضا والسادس سنة ١٩١٨ ، كما نستعين بديوان الفجر الأول لخليل شيبوب وقد نشر سنة ١٩٣١ . وديوان الاسكندرية وهو مجموعة منتخبات لشعراء الاسكندرية كإبراهيم زكى وخطيب شيبوب وزكى غازى وعبد الحكيم الجهنى وعبد الحميد السنوسى وعبد الله شكرى وعبد اللطيف النشار وعبد المنصف محمود وعثمان حلمى ومحمد السيد ومحمد فضل اسماعيل ومصطفى صبحى ومفيد الشوباشى . وقد نشرت هذه المجموعة سنة ١٩٣٥ وقدم لها الأستاذ على محمد البحراوى بمقدمة طويلة وديوان مصطفى الحرقى واسمه أزهار الذكرى سنة ١٩٤٣ ، وديوان عثمان حلمى

وقد نُشر سنة ١٩٣٦ ، وكتاب قبس من الشرق وهو مجموعة من الترجمات لشعراء  
شركيين فارسيين وهنديين وصينيين ويابانيين وشعر بعض قبائل الزنوج  
ودبوان النشار واسمه جنة فرعون ونار موسى الذي ترجح أنه صدر سنة ١٩٣٤

من هو الشاعر ؟ يقول عبد الرحمن شكري في كتابه الاعترافات  
متحدثا عن نفسه « نحن الآن في عصر لا ترق معه الا اذا خلصنا من رق  
الأوهام والخرافات التي هي كالأوهام والقيود . ومن أجل ذلك صرت  
أتعصب للانكار والجهود بقدر ما يتعصب غيري للإيمان . غير أن هذا الانكار  
يحققني ولا يرضي ذهني فلا يفسر لي شيئا - لا يفسر لي من أنا ولماذا خلقت  
والى أين أذهب - فنفسى من النفوس التي لا تنفع بالانكار لأن لها حاجات  
دينية ليس لها غنى عنها . من أجل ذلك كان الانكار يورثني اليأس والحزن  
فكنت أهدم في شوارع المدينة ليلا لأن الليل أشبه بما كنت فيه من اليأس  
والحزن وكنت أنظر الى النجوم وهي تنظر الى بحزن واشفاق وأسألها  
عن الحياة والموت ، عن البقاء والفناء ، عن الله والانسان ، عن الدنيا والآخرة  
فتنظر الى بحزن واشفاق ويحقق سهيل كأنما يهز رأسه قائلا .. لا أعرف عنها  
شيئا ، فتصير الحياة أثقل من الكابوس أو كأنها حلم يروى ويقلق ولا يبعث  
الطمأنينة » .

هذه صورة نفس معذبة معلقة بين الشك والإيمان تقبل على الحياة  
بهم الجائع الذي يتساءل عن كل ما يحويه الوجود من مشكلات  
حار في تفسيرها المفكرون والشعراء والمتصوفة . وهذه الصورة التي يعطيها  
عبد الرحمن شكري عن نفسه هي صورة الشاعر كما يتصورها هو والصورة  
التي يعطيها له هي صورة نفس قلقة معذبة حائرة حزينة هائمة على وجهها ترى  
في كل شيء ما يهيج أشجانها ويشير كوامن الحزن فيها . وهي شرهة العقل  
تريد أن تفكر في كل شيء وأن تحس كل شيء . وهي ترى في مجال الطبيعة  
وما تحويه الصدور موضوعات لا حصر لها تتساءل عنها فلا تجد جوابا فينتابها

اليأس والحزن وتضيق الحياة بها ، وهو يعبر عن هذا تعبيرا أدبيا جميلا ينطق  
بالرؤية الشعرية الفذة في مقطوعة قصيرة سماها الشاعر وحييته (١) :

دعني وحظي لست أهلا لأن ترى	حياة مشوب الفؤاد معذب
إذا ما رأيت البشر عملاً صفحتي	ضياء فتأملني خديعة خلب
وما بعث الله الأديب ليمتطي	على سروات العز أطيّب مركب
تريه مكان الهم عين بصيرة	فيحويه منه كالجاء المنطب
يفر الرجاء العذب من خطراته	فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب
مهيجة أشجانه لا يمساها	سوى كل قوار الصباية أغلب
فهن كأعضاء اللديع إذا دنت	لشيء تأذت من حكاك المقرب

وفي مقطوعة أخرى بصور لنا الشاعر وقد هام بمثل أعلى يطلبه فلا يجده  
فهم على وجهه ويهجر أهله وأترابه ويسير حيث لا يسير انس ولا جان  
يطلب هذه الحورية التي لا يعرف لها مكانا ولا يدري لها خباء . وهي صورة  
لا يلبث حين يقرب منها أن تبعد عنه وأن تجافيه يقول :

قد حدثوا عن شاعر نابغ	مجرد الشعر شريف المقال
لم يعشق النيد ولكنه	هام بيكر من بنات الخيال
صورة حن صاغها لبه	وحدها في الحن حد الكمال
فصار كالطفل رأى يارقا	هاج له أطماعه في المجال
مد نحو النجم كفا له	ويحب النجم قريب المنال
فأينما مار تراءت له	كما تراءى خادعا لمع آل
خيالها دان به حائم	كأنه غير عزيز النوال
وربما ألبسها وهمه	جسما وكم وهم غريب الصيال
قد هجر الأتراب من وحشة	وصار يمشي فوق هام الجبال

(١) ديوان عبد الرحمن شكري ج ١ ص ٣١

حدث النفس بأمر الهوى	ويسأل الأرواح بمرجع السؤال
فيما يسعى على قمة	تروع النفس بمرأى الجلال
رأى التي صورها ليه	تصوير صب عابد للجمال
قلت له ان كنت لي عاشقا	فاتبع خطاى وامضىء بالخيال
فار يفتو أثرها هائما	والمهتدى بالوهم جم الضلال
وهم أن يمكها جاهدا	بين ذراعيه بأيدي عجال
وما زال يعدو جهده نحوها	حتى هوى من فوق تلك التلال
فرحمة الله على شاعر	مات قتيلًا للأمان الطوال

وهنا تتضح مأساة الانسانية التي تجاهد في سبيل الوصول الى الكمال .  
وهي مأساة قد لا يحس بها قوم قد شغلوا بما في الحياة من متع قريبة يوفرها لهم  
جهدهم القليل أو الكثير ولكنها قريبة عارمة في أولئك الذين وقفوا بحياتهم  
على العلم والفن ، وهاموا بمثل خلقها خيالهم الحى المتيقظ بعيدة كل البعد  
عن واقع حياتهم . ولكنهم - مثلهم في ذلك مثل النطفل المنطلق الذي لم تعلمه  
تجاربه في الحياة حدود امكانياته - يخالون أنها مثل قريبة التحقيق . فهي  
تراءى لهم أينما ساروا وحيثما ذهبوا ، وتمثل لهم بكل دليل مثلها مثل الآل  
في الصحراء . وقد تتجسم للفنان في صورة امرأة جميلة أو منظر قطعة أرض  
جميلة ، أو منظر أصابع الفجر الوردية وقد أخذت تكشف عن النهار قناع  
الليل الأسود ، ولكن هيات ! أن عليه أن يسعى وأن يجد وهو في سعيه وجده  
ينطلق باحساس داخلي ، وقوة حيوية داخلية فيهجر أهله وأصحابه وجليانه  
ويعشى في السهل والجزن ، ويصعد في الجبال ، وتراءى له وقد ارتفع فوق  
قمة أحد هذه الجبال : يرى الصورة التي انعكست في لبه مائلة أمامه ، ويرى  
الشكل الذي رآه بعين خياله وقد تمثل حيا أمامه . ثم تدعوه أن يتبعها وليكن  
خياله رائده ، فيسير يديه وهمه في هذا العالم المجهول ، ويقرب منها شيئا فشيئا  
وقد ازدادت تجاربه واستحصدت قوة رؤيته الفنية وقد أصبح قاب قوسين  
أو أدنى منها . ويهم بمعانقتها ولكن هيات ! لا يلبث هذا الجهد المتصل والعناء  
الطويل أن يخل بتوازن الشاعر فتزل قدمه ويخر صريعا من فوق الجبال .

هذه صورة رمزية فذة لجهاد الفنان في سبيل الوصول الى الكمال تضارع أروع ما أنتجه شعراء الرمزية من الأوربيين . وهي تذكرنا بملحمة دانتي الخالدة التي رحل فيها خلال الجحيم والمطهر حتى وصل الى القناء في الصورة العليا . ولو أسلست اللغة قيادها لعبد الرحمن شكري فارتفع عن ذرية بعض تعبيراته كهاج له أطاعه في المجال وكأنه غير عزيز النوال وبين ذراعيه يأيد عجال لاستقامت صياغتها ودياجتها واحتلت مكانها بين القطع الأدبية الكبرى في الأدب العربي .

وليس الشاعر شخصاً شره العقل معذب النفس يهدف الى الكمال فحسب ولكنه شخص يمتاز بحساسية فائقة متنوعة . والى هذا يشير عبد الرحمن شكري يقول في مقدمة ج ٢ « ان روح الشاعر مثل آلة الغناء لا بد أن تنبأ تنبأ خاصاً لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ويبطل بعضها ويشد وتر ويرخي آخر » ،

ويقول في نص آخر أكثر دلالة : « وهو - أي الشاعر - هو الذي عواطفه مثل عواطف الوجود مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء ، وهو الذي يحاكي قلبه الأركستر الكثير الآلات الكثير الأنغام - أليس الوجود أيضاً أركستر آلاته .. الناس وعواطفهم وأعمالهم ، الرياح والأمواج والطيور والحوانات كذلك قلب الشاعر أركستر آلاته العواطف . والشاعر رجل انفعالي فلا ينظم الشاعر الكبير الا في نوبات انفعال عصبي في أنثائها تغلي أساليب الشعر في ذهنه فتضارب العواطف في قلبه ولكن تضاربه لا يزعج تبضه طيور الأنغام الشعرية التي تغرد في ذهنه ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد منه لبعضها دون بعضها . أما في غير هذه النوبات فالشعر الذي يصنعه يأتي فائر العاطفة قليل الطلاوة والتأثير » .

ولو ضربنا صفحاً عن التعبيرات الشعرية التي يعبر بها عبد الرحمن شكري عن فكرته فان ملخصها أن الشاعر فيلسوف مثالي تشغله مشكلات

الوجود ويحاول أن يصل الى رأى فيها . والوجود بالنسبة اليه هو عواطف الطبيعة من أناس ومحسوسات . وتستقر فيه هذه العواطف أولاً ثم تنتابه ثوبات عصبية يخرج فيها التعبير عن هذه العواطف والأعمال .

وعهدنا بأن الشاعر شخص انفعالى يصاب بثوبات انفعالية عصبية عهد قديم يتردد الحديث عنها في كتاب الأغاني في الحديث عن الشعراء . بل ليست الفكرة مقصورة على شعراء العرب . فحسب بل ربما كانت ملكا شائعا للشعوب السامية وخاصة في الحديث عن شعراء الكتاب المقدس<sup>(١)</sup> ، بل ربما كانت ملكا شائعا للشعوب القديمة كلها . ولكن الجديد فيها ان الشعر عملية داخلية في نفس الشاعر فلا يوجد شيطان أو اله أو ملاك فيلقى اليه بما يجب أن يقول . ولكنه شخص خلق هكذا متوقد الفكر متوقد الاحساس يخترن تجاربه ثم تصيبه هذه التوبة فيعبر عما اخترن . وهذه الفكرة هي فكرة مدارس الشعر الأوربية المختلفة في أوروبا في القرن التاسع عشر من رومانتيكية ورمزية وبرناسية وفنية وسيربالية وواقعية .

ولكن لا يكفي أن يخلق الشاعر هكذا وأن يتميز بين الناس بصفات خاصة بل لابد له من الاطلاع الدائم المستمر . هو الاطلاع شراب روح الشاعر وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ويلقح ذهنه ، ونفس الشاعر ينبوع والاطلاع هو الآلة التي يرفع بها ماء ذلك ينبوع الى الأماكن العالية والشاعر في حاجة الى محركات وبواعث . والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث والأديب الذي لا يقوم بالاطلاع كالماء الآسن العطن الذي لا يحركه محرك وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل في قول أبي العلاء :

والنحل يجنى المر من نور الربى فيصير شهدا في طريق رضابه

فالعالم الماهر يخرج من الجيد جيدا ولكن العبقري يخرج من الرديء جيدا ، ولكن بعض القراء يقرأ على صحيفته ما قد قرأته بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهدا . وهذا هو الفرق بين العبقري وغيره من الناس<sup>(٢)</sup> .

Alfred Guillaume, Prophecy & Divination. Lecture III & V & VII. (١)

(٢) عبدالرحمن شكرى مقدمة ج ٣

وفي هذا نقد لشعراء عصره الذين جفف منابعهم عدم الاطلاع والقراءة وأصابعهم ركود الجمول . ومفهوم الاطلاع مفهوم يختلف عن مفهومه لدى مثقفي هذا العصر فقد كان شغلهم أن يقرأوا كتب الدين والفقه ، وكانوا يعرضون عن كتب الأدب . وكتب الدين - في رأى عبد الرحمن شكري - تبث الفزع والخوف وتبعد الانسان عن التثبه لمواطن الجمال في الحياة ، يقول في اعترافاته « ثم تركت بعد ذلك قراءة كتب التعمد وجعلت أقرأ كتب الشعر والأدب ففطنت الى جمال الحياة وقلات مطالعتها من ذلك الفزع الذي كان باعته الدين » .

لكن على أى شيء يجب أن يطلع الأديب؟ هنا يتحدث عبد الرحمن شكري حديثا عاما شاملا عن حاجة الأديب الى الاطلاع على آداب الأمم الأخرى . فيقول « واذا قرأ الشاعر آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جلة في معانيه وفتحت له أبواب التوليد . فان الشاعر الكبير - كمن يعبر عما في نفسه من العبقريّة تمام التعبير حتى لا يبقى بعضها مكتوما مجهولا - لابد أن يجدد ذهنه دائما بالاطلاع وأن يحرك به نفسه وأن ينوع من ذلك الاطلاع . فان شره الاحساس والتفكير هو ميزة العبقري . فان مذاهب القول التي تستلزمها حياتنا تقتضى درس آداب العناصر الأخرى التي عمرت العالم وأنشأت لها حضارة وعلوما وفنونا . فان درسها يوسع عقولنا ويحدد آمالنا وقوانا ويهيء وحي ذكائنا ويعلى خيالنا . ولكن ينبغي ألا نكون ناقلين بل بنين أن نكون مفكرين باحثين فيها » .

ولكن هذا كلام لا يدل على الكثير فلم يجدد لنا نوع الثقافة التي يتطلبها أو على الأصح لم يجدد لنا على وجه الدقة مصادر الثقافة التي رجعت اليها مدرسته . فاذا ما انتقلنا الى أحد تلاميذ هذه المدرسة النابيين وهو خليل شيبوب وجدناه يقول في مقدمة النجم الأول « ان من يمن في الشعر الحديث نظرة استقصاء لابد له من التنبيه الى أمر جلل وهو أن الفناء الحاضر عامل على مجارة المدنية الكسونية في الترامى وراء العريص الشاذ من خيالها ومعانيها ، بينما كان الفناء السابق يستوحى المدنية اللاتينية ويتقرب الى طرائق رجالها والشعراء منها ، ولا شك أن الشرقيين وغربائهم وتزعة نفوسهم

الى شرود الخيال الذي تزنه الحكمة بمقيار الحياة حتى تدنى أقصى ما قضى  
بينه ، لا شك أنهم بذلك أقرب الى محاكاة المدنية اللاتينية بما يحولونه منها  
الى لحمهم ودمهم لتستقل بذلك نفسياتهم وتبرز شخصيتهم . ولا يجهل  
المعنيون بهذه الاشارة أن المدنية السكونية بنت المدنية اللاتينية وأن مذهبها  
في الخيال قد نشأ في فرنسا ثم عبر نهر الرين الى المانيا ومنها ركب البحر  
الى انجلترا لأن مبتدعيه برنار وسان بيير وجان جاك روسو وشاتوبريان  
وما في هؤلاء من نظم تابعين . وقد استوهمهم اياه غوته العظيم وعنه أخذ بيرون  
وشالي وغيرهما . ولكن الآخذين تفردوا به لقوة طبيعة التحويل في نفوسهم  
حتى كأنهم مبتدعوه ومن مدهشات التطور أن هذا المذهب بقي متابعا  
سيره حتى عاد الى مهده فرنسا مصطبعا بصيغة جديدة فتناوله لامارتين  
وموسيه وهو جو ومن نحا نحوهم . نعم لا وطن للفن ولكن لكل أمة ميزة  
تتلمسها ، لذلك ترى أن استقاء المذهب من منبعه أوفى بالحاجة منه وأتم  
انطباقا على طبائعنا وحياتنا الشرقية بما يلائمها ويفتح معها حتى يجيء الرقي  
حيثا ويصل الوضوح شعرا . انما عيه اضطراب معانيه وبعده عن المؤلف  
في عيشتنا وأن ينظم الشاعر لأهل لغته من الأجيال الحاضرة والمقبلة .

ومع ما في هذا النص من خلط وأخطاء تاريخية عن نشأة الرومانتيكية  
وتداولها بين الأمم ، وما فيه من تقصير في فهم مدلول الرومانتيكية والمذاهب  
التي ظهرت بعد ذلك مما عطل مدى فهم هؤلاء الشعراء للمذاهب المختلفة  
الا أن فيه بيانا صريحا على أن معظم هؤلاء الشعراء كانوا يقرأون الانجليزية  
ويتحدثون عليها في ثقافتهم .

ولكن ثقافة هذه المدرسة كما يجب أن نتصورها عقليا لا يد أن تكون  
ذات شقين : أولها ثقافة عربية وثانيها ثقافة أوروبية . والاشارات  
التي يشير بها عبد الرحمن شكري الى هذين النوعين من الثقافة غامضة  
ولا يعيننا خليل شيبوب على ذلك عونا كبيرا . فلنتقل الى كاتب آخر  
كان من تلاميذ هذه المدرسة هو وأخ له وتربيا في أحضانها وان كان  
قد أنكر بعد أن أصبح شيئا مذكورا تلمذته على صاحبها . هذا هو العقاد .

يقول في نص طويل في آخر كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي »  
« الجيل الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية  
ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي كما كنا. يقلب على أدباء  
الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر ، وهي على أبعائها في قراءة الأدباء  
والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطيان والروس والأسبان واليونان  
واللاتين الأقدمين . ولعلها استفادت من النقد الإنجليزي قدر فائدتها  
من الشعر وفنون الكتابة الأخرى . ولا أخطئ إذا قلت أن هازلت هو أمام  
هذه المدرسة كلها في النقد لأنه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون  
وأغراض الكتابة الأخرى ومواضع المقارنة والاستشهاد ، وهذه المدرسة  
المصرية ليست مقلدة للأدب الإنجليزي ولكنها مستفيدة منه مهتدية على ضيائه .  
ولقد كانت المدرسة الغالبة على الفكر الإنجليزي بين أواخر القرن الثامن  
عشر وأوائل القرن التاسع عشر هي المدرسة التي كانت معروفة عندهم  
بمدرسة النبوة والحجاز أو هي المدرسة التي تتألق بين نجومها أسماء كارليل  
وجون ستوارت ميل وشيللي وبابرون ووردزورث ثم خلفتها مدرسة تجمع  
بين الواقعية والحجازية وهي مدرسة براوننج وتيسون وامرسون ولونجفيلد  
وبو وويتمان وهاردي وغيرهم ممن دونهم في الدرجة والشهرة . وقد سرى  
من روح هؤلاء الشيء الكثير الى الشعراء المصريين الذين نشأوا بعد شوقي  
وزملائه ولكنه كان سريان التشابه في المزاج واتجاه العصر كله ، ولم يكن  
تشابه التقليد والفناء أو هو سريان جاء من تشابه في فهم رسالة الشعر والأدب  
لا من تشابه فيها عدا ذلك من تفصيل . »

وهذه دعوى عريضة تحاول أن تعطينا فكرة عن شعراء التجديد  
وقد أصبحوا شعراء عالمين يقرأون كل شيء ويبحثون في كل شيء شأنهم  
في ذلك شأن كبار شعراء الانسانية . وربما كان الأمر كذلك الا أن البحث  
الدقيق المستقصى في هذا يثبت غير ما يقوله العقاد . والذي لا شك فيه أن من  
يملك ناصية لغة أوروبية حية راقية كالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية  
يستطيع أن يقرأ بها نتاج ما أبدعته عبقریات هذه اللغات جميعا مما يذكر  
العقاد . وربما كان صحيحا أن شعراء هذه المدرسة قد تأثروا بهازلت في

كتاباته النقدية فهناك بعض الأفكار التي تشابه ما قد يقول به . ولكننا نشك شكاً قوياً في أن هؤلاء الشعراء قد قرأوا دواوين كاملة للشعراء الانجليز أو لغيرهم من شعراء اللغات الأخرى وأغلب الظن أنهم قرأوا منتخبات شعرية ككتاب الخزانة الذهبية<sup>(١)</sup> الذي جمعه فرانسيس بولجرريف أستاذ الشعر بجامعة أكسفورد . وهي مجموعة من الشعر الغنائي الذاتي لشعراء الانجليز من عهد ما قبل شيكسبير الى نهاية القرن التاسع عشر وهو لا يذكر شيئاً من شعر الملاحم أو الشعر التثليلي . وما يرجح لدينا هذا الرأي أن معظم ما ترجمه العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري من مقطوعات شعرية موجودة في هذه المجموعة : كما أن المفهوم الغربي الذي صدرت عنه هذه المجموعة هو نفسه مفهوم الشعر لدى هذه المدرسة . ونرجح أن ما قرأه أصحاب هذه المدرسة من أدب اللغات الأخرى كان منتخبات ترجمها المترجمون في عصور متباينة ان كانوا قد قرأوا شيئاً منها على الاطلاق . فلا يبدو في ديوان عبد الرحمن شكري ما يدل أية دلالة على قراءة في أدب أوربي آخر .

والاشارات العامة الى قراءاتهم في الأدب العربي توحى بأنهم قد قرأوا من هذا الأدب نصوصاً جاهلية وإسلامية وعباسية . وهذه الاشارات كثيرة لدى عبد الرحمن شكري وكثيرة لدى العقاد . ونحن لا نشك في أنهم قد قرأوا شيئاً من الأدب الجاهلي والإسلامي ، ولكننا نشك شكاً قوياً في أنهم تعمقوا دراسة هذين العصرين فكل الأمثلة التي يوردها عبد الرحمن شكري والعقاد والمازني للتدليل على آرائهم في اللغة ومفهوم الشعر أمثلة عباسية فهم يذكرون المتنبي وأبا العلاء والشريف الرضي وابن الرومي . ونحس في شعر بعضهم وبعض شعر عبد الرحمن شكري نفسه روح تصائد عباسية قد اشتهرت وأصبحت قطعاً تاريخية في سجل الأدب .

(١) محمد مندور الشعر المصري بعد شوق وقد ترجم مندور Golden Treasury بالكثير انجليزي . والصحيح أن Treasury معناها الخزانة أو الضلوق الذي يحتفظ فيه بالكثير . وتسمى وزارة الخزانة The Treasury بالانجليزية .

ولو قرأ هؤلاء شعر الجاهليين والأمويين لعرفوا أن معظم التعبيرات التي شغفوا بها تعبيرات قد سبق هؤلاء الشعراء إليها ولأحسوا احساساً أكثر عمقا باللغة وبتطورها ولاسخت لهم اللغة وأعطت أكثر مما أعطتهم (١١).

ولا يكفى عبد الرحمن شكرى بأن تقتصر ثقافة الأديب على ما يقرأ من أدب عربي وأدب أجنبي مع ما في هذه القراءة المنوعة من اتساع لأفق الشاعر والكاتب وفتح لمخاليق نفسه ووصلها بتجارب أمم وأجناس مختلفة ، ولكنه ينبه الى أن هذه التجربة التي تأتي من طريق الكلمة المكتوبة قد تكون تجربة جامدة . فهي تأتي عن طريق اللغة واللغة مع ما فيها من قدرة في بعض الأحيان - وخاصة في قلم الكاتب الكبير - على التعبير واعطاء ظلال مختلفة للتجربة الانسانية الا أن هذه الظلال كثيرا ما تتلاشى وكثيرا ما تخبو الشحنة العاطفية التي حملها الشاعر اياها وتصبح وسيلة لنقل الأفكار فحسب . وتصبح التجربة الانسانية تجربة فكرية مجردة . وهنا ينبه عبد الرحمن شكرى الى حاجة الأدباء الى نوع آخر من الثقافة يصلهم بالتجربة الحية المتيقظة وينتج للاديب أفكارا وصورا محتفظة بشحنها العاطفية ، يقول في مقدمة ج ٣ « الشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعاني الشعرية وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته ، وينبغي له أن يعود نفسه على البحث في كل عاطفة من عواطف قلبه وكل دافع من دوافع نفسه لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يصر كل عاطفة جليلة شريفة فاضلة أو قبيحة مرذولة وضیعة » .

في هذا النص نقد وتوجيه ، نقد لما كان عليه شعراء العصر من حود وحياة رنية صامتة لاصلة بينها وبين ما يتيح للشاعر أن يجدد نفسه . وربما كان مصدر الفكرة ما قرأه عن حياة الشعراء في القرن التاسع عشر وهي حياة مملوءة بالمغامرات والانذفاعات والبحث عن كل التجارب الحسية والروحية التي يستطيع الشاعر أن يحصل عليها . فكانوا يتعقبون مواطن الجمال الطبيعي والمثيرات العاطفية التي تثير انفعالهم حتى يروا الصور المختلفة للانسان

(١١) محمد مندور - الشعر المصري بعد شوق .

في تصرفاته والأشكال المختلفة التي تتخذها عواطفه وأفكاره . فرحل الشعراء الانجليز من بلادهم الى ايطاليا وسويسرا واليونان فرأوا مناظر جديدة والوانا من العواطف مختلفة . وكانوا يقومون بهذه الرحلات وكانهم يكتشفون مجاهل جديدة في أعماق الطبيعة والانسان . وفر الشعراء الألمان الى فرنسا هربا من القيود التي يفرضها عليهم نظامهم الاجتماعي والسياسي الى فرنسا .وباريس حيث الحرية المطلقة والاندفاع المطلق حيث لا حدود ولا قيود . وهاجر بعض الشعراء والفنانين من أوروبا جميعا الى مجاهل أفريقيا يبحثون عن الانسان البدائي الذي لم يفسده الطبيعة بحثا عن الألوان الجديدة والعواطف الانسانية الساذجة التي لم يفسدها سلطان العقل ولا تقييد الإرادة . وعاش هؤلاء الأدباء في بلادهم عيشة لا تؤمن بحرية الإرادة وسلامة العقل ولكنها آمنت بأن العاطفة خيرة صادقة لا يمكن أن تؤدي بالانسان الى مواطن الهلاك .

والذي لا شك فيه ان هذه الحياة الموسيقية الشاعرية قد تتوفر للشاعر دون جهد منه ؛ فقد تكون ظروف مولده وظروف عصره وحياته ظروفًا مثيرة لأشجانه وعواطفه كما كانت ظروف دانتى وشيكسبير والمنبى وأبي العلاء .وقد لا تكون وعند ذلك يحتاج الشاعر الى أن يقوم بجهد واع للاتصال بالحياة حتى تيسر له القوى المحددة لعواطفه وانفعالاته . ويجب ألا يكتفى الشاعر بتلقي هذه التجارب بل يجب أن يعقل التجارب وأن يعيا وأن يشكر فيها حتى يستطيع أن يستفيد منها في خلق بنائه الفني .

واذا كان هذا هو تصور هذه المدرسة للشاعر شخصيته وثقافته وحياته فأى نوع من الشعر يجب أن يصدر عنه ؟ هنا يوجه السؤال الخالد في النقد الى عبد الرحمن شكري ومدرسته . ما هو الشعر ؟ يقول عبد الرحمن شكري في قصيدة قصيرة في الجزء الثاني من الديوان بعنوان شكري شاعر :

قد طال نظمي للأشعار مقتدرا      والقوم في غفلة عني وعن شاني  
قد أولعوا بكبير السن أو رجل      بنى له الجاه ما يغلو به الباني<sup>(1)</sup>

(1) يجيز إيليه أنه يتقد شوق في هذه الأبيات .

ولو سئلت الى حيث القريض لقا  
ولو سئلت فقلت الشعر في خير  
ولو سئلت فقلت الشعر مبتذلا  
لقليل نعم لعمرى أنت من رجل  
وانما الشعر تصوير وتذكرة  
وانما الشعر مرآة لغسانية  
وانما الشعر احساس بما شغفت  
قالوا أثبت بشعر كله بدع  
من كل معنى يروع الفهم طائله  
من كل معنى كعوج البحر مطرد  
هذى المعاني تناجهم فما لهم  
متى يتاح لهم شاد بما رقصت  
هل في أكابرهم رد لذي أدب

بين الأثافي وريع المنزل الغافى  
من السياسة في زور وبهتان  
في وصف مخترع أو ذم لزمان  
جم المحاسن من صدق وتيسان  
ومتعة وخيال غير خحوان  
هى الحياة فمن سوء واحسان  
له القلوب كأقدار ونجدشان  
فقلت نعم لعمرى قوله الثانى  
معنى من الجان فى لفظ من الجان  
جم الجلال فلولا الله أعيانى  
لا ينصتون بأفهام واذهان  
له القلوب وتحنان كتحنان  
من كف كل حديث الكف فنان

بعد أن يهاجم شكوى الشعراء فى عصره والموضوعات التى يتحدثون فيها  
من بكاء على الديار ووقوف عليها وحديث عن السياسة والأشخاص يبدأ  
فى تعريف الشعر . والشعر لديه تصوير لما تراه الحواس وتذكرة بما رأت  
وامتاع للأرواح وخيال دقيق لا يضل . والشعر مرآة غانية تنقل صورة  
صادقة للحياة بما فيها من شر وخير . والشعر تعبير عن القلوب واحسانها  
بما يحدث فى الحياة وما يصيب به القدر الناس . والشاعر مغم يثدو  
بما فى قلوب الناس جميعا .

ولكن هذا الكلام مع ما فيه من جمال كلام غامض لا يصور لنا شيئا  
دقيقا نحسه ونلمسه وهو يثير المشكلات ولا يحلها وان كانت تبدو فيه بذور  
نظرية جديدة . فالشعر فى نظره تصوير لانفعالات النفس بالحياة بكل  
ما فيها ، ولكن ما هى الحياة وكيف يصورها الشعر ؟ لنستمع الى قصيدة  
أخرى فى الجزء الثالث . يقول:ص ١٦ قصيدة « الشعر والطبيعة » :

اذا غنت الأطيوار في الأبلق صدحا  
 وللريح هبات وللنفس مثلها  
 وما الشعر الا القلب هاج وجيبه  
 نرى في سماء النفس ما في سمائنا  
 وما النفس الا كالطبيعة وجهها  
 وفيها صراخ اليم ان ماج موجه  
 وليل وأصباح لها وكواكب  
 اذا كنت فوق الروض فالقلب طائر  
 وان كنت فوق البحر فالقلب موجة  
 وان كنت فوق الشم فالقلب نسرنا  
 وتثر أغصان الحريف زهورها  
 فيا قوم ما للجهل ملء عيونكم  
 لبتم على الأيام ثوب مذلة  
 اذا صاح ذاك الغير فيكم صياحه  
 ويزعجكم أن الطيور هوازج  
 أصاب ذكاني منكم برد طبعكم  
 ويبدأ طبعي في خيث هوائكم  
 فلا تحبوا أني أقول لتسمعوا  
 وماذا يفيد الشعر والقلب ميت  
 اذا كان يحبي الشعر نفا مريضة

هذه صورة رمزية عن الشعر فالشعر تعبير عن النفس . والنفس كالطبيعة .  
 والنفس تعني كما تعني الطيور في الطبيعة وتعزف الريح بها كما تعزف بالطبيعة  
 نائرة مرة وهينة مرة . أخرى ، وتشرق النفس كما تثير السماء عند ما يشرق  
 البدر فيها . وفي النفس ما في الطبيعة من جمال الرياض والأضواء وما فيها  
 من غويل وصراخ عند ما يصطخب الريح ويعتو ، وفيها أيضا هذه الموسيقى  
 الهينة الينة موسيقى الحرير الخافت . فالنفس كالطبيعة والشعر تعبير

عن هذه النفس المضطربة التي تنفل انفعال الطبيعة . ولكن أتكون الحياة  
 هي توقيعات هذه الطبيعة ؟ أتكون حقائقها هي حقائق هذه الطبيعة التي نراها  
 في أشكال مختلفة وصور متباينة ناثرة مرة وخافتة ساكنة مرة أخرى ؟  
 أهذه هي المشكلة الكبرى التي شغلت عبد الرحمن شكري في شعره ؟ لنقرأ  
 قصيدة أخرى في الجزء الأول عنونها « الشعر » :

آن النفوس ضحائف - الشعر من آياتها  
 والنفس طير صاوح والسحر في نغماتها  
 لوزاع كرا الدهر نحيء ربيع من فرائها  
 قرى الحياة قنصة في الشعر من عقداها  
 والعيش نهزة شاعر يقتض من ملكاتها  
 والشعر تاريخ النفوس ومعقل لحياتها  
 والشعر كأس للنفوس حذار من نشواتها  
 والشعر ورد يانع غرسته في جنباتها  
 والنفس ربح قد هفت بالشعر من نفعاتها  
 والنفس طورا كالسوم تروع في لفحاتها  
 والنفس بحر زاخر والشعر من موجاتها  
 والنفس طير في الحياة يطير في روضاتها  
 في أرضها وسماها غرد وفي جنباتها  
 آن القلوب خوافق والشعر من نبضاتها  
 قرى الحياة جميعها مفشورة بصفاتها  
 والشعر مرآة الحياة تطل في مرآتها  
 تتجلو أماليب الحياة تلوح في صفحاتها  
 قراه في آلامها وتراة في لذاتها  
 والشعر في عبراتها والشعر في ضحكاتها  
 وهو المعين على الحياة بغض من نكباتها  
 والشعر نور صاطع عاد على ظلماتها  
 ويصوغ من ألم النفوس اللحن في أناتها

ويضيء كل جريمة فيبين عن غاياتها  
فهو الخبير بما يحث النفس في فعلاتها  
لنفس نشوة راقص والشعر من رقصاتها  
لنفس همة ساحر والشعر من نغماتها  
في كل نفس منزل للشعر من حركاتها  
في الطفل والرجل الكبير يحول في حالاتها  
وتراه في فتياها وتراه في فتياها  
في حزنها ومرورها وطموحها وشكاتها  
والشعر نعمة صادق والنفس من آلامها  
أشجانها أوتارها والشعر من رنائها  
ولكل شيء مبعث للنفس من رقداتها  
والشعر كالإلهام يأق النفس في يقظاتها  
والكون آية شاعر يأتي بمبتكراتها

في هذه القصيدة يضع عبد الرحمن شكرى المشكلة كاملة تحت أعيننا .  
فليست الطبيعة هي الحياة وإنما هي جزء منها . وإنما الحياة أساليب مختلفة  
وأشياء مختلفة فيها آلام وفيها لذات وفيها عبرات وفيها ضحكات وفيها نور  
وفيها ظلمات . وكل هذه الأشياء توقع أنغامها في النفس فتتفاعل لها النفس  
انفعالا مناسبا ويجيش فيها الشعر فيخرج تعبيراً عن هذه الانفعالات .  
وهذه المثيرات التي تثير نفس الشاعر هي نفسها المثيرات التي تثير أنفوس  
الناس جميعاً ، ومن هنا كان التعبير تعبيراً إنسانياً عاماً . يقول في مقدمة الجزء  
الثالث « والحياة في نظر الشاعر الذي يعيش لفنّه الجليل قصيدة رائعة تختلف  
أنغامها باختلاف حالاتها ، ففيها نغمة اليأس والشقاء وفيها نغمة النعم والجدل  
وفيها أنغام الحقد والتؤم والشر والندم واليأس والكره والغيرة والحسد والمكر  
والتسوية وأنغام الرحمة والجود والأمل والرضا والحب . فالشاعر الكبير  
هو الذي يعرف كيف يقتبس من هذه الحالات أنغامها ويوقمها شعراً .  
وهو الذي عواطفه مثل عواطف الوجود مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء

أو النار أو الكهرباء. وهو الذي يحاكي قلبه الأركستر الكثير الآلات الكثير الأنغام . أليس الوجود أيضا أركستر آلاته الناس وعواطفهم وأعمالهم والرياح والأمواج والطيور والحوانات .

الشعر اذن تعبير عن حالات النفس المختلفة . هو تعبير عن الوجدان .  
وقد قال :

ألا يا - طائر الفردوس - إن الشعر وجدان

وهذه دعوى خطيرة في تاريخ الأدب إذ أنها ترفض جميع أنواع الشعر الموضوعي من ملاحم وتمثيلات ولا تعترف إلا بالشعر الغنائي . وقد اعترف عبد الرحمن شكري بذلك إذ يقول في مقدمة الجزء الخامس من الديوان : « ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها في غيره من أصناف الشعر وسيأتي يوم من الأيام يفتق الناس فيه إلى أنه الشعر ولا شعر غيره » . الشعر نغم مطلق يعبر عن النفس الانسانية في حالاتها المختلفة شأنه في ذلك شأن الموسيقى :

انما الشعر نغمة كحنين المزامر

ولكن ما يقول عبد الرحمن في الاياذة والاولدسا لوميروس والانيادة لفرجيل أو الكوميديا الالهية لدانتى . والفردوس المفقود للثن؟ وما يقول في مسرحيات سفوكليس ويوريديس وارسطوفانيس وكورنى ورامين وموليير وشيكسبير وكل ما أنتجته العبقريات الفذة في تاريخ الانسانية الطويل ؟ أليس هذا شعرا ؟ ولم يكن هذا التصور في فهم الشعر شيئا جديدا أحدثه عبد الرحمن شكري ، ولكنه كان مفهوم الشعر لدى المدرسة أو المدارس التي أخذ عنها من مدارس القرن التاسع عشر . فقد كان مفهوم الأدب يتغير لدى هذه المدارس بتغير تحمسهم لنوع خاص من الأدب . وليس يعنى هذا ان هذه المدارس الأوروبية لم تعالج أنواع الأدب المختلفة من شعر غنائى وتمثيلي وملحمى وقصة ورواية وغير ذلك ولكنها لم تكن تقبل الا نوعا واحدا من هذه على أنه الأدب الحقيقي .

والسؤال الثاني الذي يحتل مكانة أساسية في أية نظرية للأدب هو ما هي وظيفة الشعر؟ ويصدر هذا السؤال عن مفهوم عميق لمعنى الجهد الإنساني . فلا يوجد مجهود إنساني ليس له هدف عميق في حياتها أفراداً أو جماعات والا كان الجهد الذي تبذله عبثاً لا طائل منه . فما هي وظيفة الشعر؟

يقول عبد الرحمن شكري في مطلع مقدمة الجزء الرابع « أن وظيفة الشاعر . في الابانة عن الصلوات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره . والشعر يرجع الى طبيعة التأليف بين الحقائق ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون الشاعر بعيد النظر غير آخذ برواء المظاهر مأخذه نور الحق . تمييزاً بين معاني الحياة التي تعرفها العامة وأهل الغفلة وبين معاني الحياة التي يوحى اليه بها الأبد . وكل شاعر عبقرى خلق بأن يدعى متنبئاً ، أليس هو الذي يرى مجاهل الأبد بعين العقل فيكشف عنها غطاء الظلام ويرينا من الأشعار الجليلة ما يهابها الناس فتغري به أهل القسوة والجهل؟ » .

والأدب كما تصوره عبد الرحمن شكري هو مجموع عواطف الناس وأفعالهم وأعمالهم وظواهر الطبيعة المختلفة . ويتكون مفهومنا عن هذا الوجود من مجموعة الايقاعات التي توقعها هذه المظاهر في نفوسنا . ولكن السؤال لفنهم هو لم نظم هذه الايقاعات المختلفة ونخرجها للناس شعراً؟ ولم يهمهم أو يجب أن يهم الناس بهذا الشعر؟ فلتتبعه في شعره لعلنا نجد جواباً عن هذا السؤال . يقول في قصيدة في الجزء الرابع :

أتما الشعر في الحياة كمنظار ناظر  
يصف الناس كلهم من تقى وقاجر  
يشعر المرء حالهم من صروف القادر  
يرفع النفس سحره عن وهاد الحقائق  
لمتاء العظام عن حضيض الصقائر  
فهو دين لطامح من مصيب وعثار  
يصف العيش في الكمال عديم المحاذر

فيحن الورى اليه حين المسافر  
 فيه اغراء وارد وبه حث صادر  
 يجعل اليأس والطموح دواء المضامر  
 يدفع النفس بالخيال لورد المآثر  
 يبلغ النفس أفتها كجراح لطائر  
 لا تقاس النورس بالمبال في ذخر ذاخر  
 وهو دين الضمائر لا مقال المناير  
 يفتح النفس ضوءه مثل ضوء التباشر  
 مثلما يفتح الصباح زهى الأزاهر  
 يلقح النفس ولكن رب نفس كعافر

في هذه القصيدة يشرح لنا وظيفة الشعر على أنها التعبير عن الحياة  
 حتى نستطيع أن نعرف ما فيها من طموح وتراجع وخير وشر وكال وقيح  
 وهو يعنى النفس بهذه المعرفة عن الحياة . أتكون هذه الوظيفة اخلاقية ؟  
 أياكون هدف الشعر أن يبين لنا محاسن الحياة فنقبل عليها أو مساوءها  
 فرفضها ؟ ولكن هذا الاتجاه يتعارض مع السياق العام لنظريته ، فاذا كان  
 هذا هكذا لكان شعر المدح أولى بأن يبين للناس ما يجب أن تكون عليه  
 أخلاقتهم وأعمالهم حتى يصيروا من عطاء الرجال ، ومثل هذا الشعر رفضه  
 عبد الرحمن رفضا باتا . أفتكون مجرد المعرفة حتى تستطيع النفس أن تبلغ  
 كالمها من طريق الاتصال بالعالم حولها ؟ ذلك أجملر بأن يكون تفكير عبد الرحمن  
 شكرى .

ولكن لم يقول الشاعر الشعر ؟ عن هذه النقطة يسكت عبد الرحمن  
 شكرى مع أهميتها الضخمة في فهم وظيفة الشعر . فلا بد أن تكون للشعر  
 الوجدانى وظيفة بالنسبة لكاتبه والا فما حاجته لكاتبه ، كما لا بد أن تكون له  
 وظيفة بالنسبة للجسمور الذى يتلقى هذا الشعر . وقد تكون المعرفة الوجدانية  
 في حد ذاتها سببا في اقبال الناس على قراءة الشعر الوجدانى ، ولكن ما الذى  
 يدعو الشاعر الى أن يكتب . أما وقد سكت عبد الرحمن فليكن دليلنا على هذا

نصا من أحد تلاميذ هذه المدرسة . وهنا نذهب الى الفجر الأول فترى صاحبه (١) يقول في مقدمة ديوانه « وبعد فهذا شعر نظمته لأروض به نفسي في خلواتي وأرضها بما يجدد بهجتها في أفراحها أو يسلبها همومها في أتراحها فان أحسنت فلي أو أسأت فعلى . وفي هذا الشعر ما فيه من تردد الضعف وذهول الحيرة وتنفس الصعداء غير أن الاخلاص شفيح له وكفى بالشاعر يؤسا أن يرى بقلبه الى الناس وأن يطرح بين يدي الجمهور خاصة حسه ويزهدونه في يومه وأمه فلغير هؤلاء بنظم الشعر والله ولي الأمر » .

هنا يبدو أن الشاعر يرى أن وظيفة الشعر هي مجرد اخراج هذه الطاقة المخزنة في النفس الانسانية والتخلص منها ، ولكن لم يهتم الناس بطاقة انسانية شخصية ولم يهتم الشاعر بأن يخرج هذه الطاقة منعمة موسيقية مطربة ، ولماذا يهتم الناس بما يكشف لهم الشاعر من حقائق منعمة موسيقية ؟ أتكون هناك حاجات نفسية ثابتة يصدر عنها الشعر وهي عميقة الأغوار في نفس الانسان . وهنا تصمت المدرسة جميعا فلا تكشف شيئا . فلننضم اذن شرح هذه الوظيفة لدى شخص آخر يصدر شعره عن نفس المفهوم الشعري الذي صدر عنه شعر شكري وأصحابه . وسيكون الغربال ليخائيل نعيمة هو مرجعنا هذه المرة وسنراه يتحدث حديثا صريحا عن وظيفة الشعر على أنها تعبير عن حاجات نفسية ثابتة وهذه الحاجات هي (٢) :

(أولا) حاجتنا الى الافصح عن كل ما يتأبنا من العوامل النفسية من رجاء وآس وتوتر وفشل وإيمان وثك وحب وكره ولذة وألم وحزن وفرح وخوف وطمأنينة وكل ما يتراوح بين أقصى هذه العوامل وأدناها من الانفعالات والتأثرات .

(ثانيا) حاجتنا الى نور نهدي به في الحياة وليس من نور نهدي به غير نور الحقيقة حقيقة ما في أنفسنا وحقيقة ما في العالم من حولنا ، ونحن

(١) خليل شيوب .

(٢) نص مندور في كتابه الشعر المصري بعد شرق ما جاء في الغربال في هذه النقط الأربع .

ان اختلف فهمنا عن الحقيقة لنا ننكر أن في الحياة ما كان حقيقة في عهد آدم ولا يزال حقيقة حتى اليوم وسيبقى حقيقة في آخر الدهر .

(ثالثا) حاجتنا الى الجميل في كل شيء ففى الروح عطش لا ينطفىء الى الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال . فإثنا وان تضاربت أذواقنا فيما نحبه جيلا ونحبه قبيحا لا يمكننا التماهى عن أن في الحياة جمالا مطلقا لا يختلف فيه ذوقان .

(رابعا) حاجتنا الى الموسيقى ففى الروح ميل عجيب الى الأصوات والألحان لا نترك كنهه ففى تهز لقصف الرعد ولحرير الماء ولحفيف الأوراق لكنها تنكشف من الأصوات المتنافرة وتانس وتنسبط بما تألف منها .

هذا هو مفهوم الشعر لدى هذه المدرسة . ومن هذا نرى أنه مفهوم يختلف عن مفهومه في عصور الأدب العربى المختلفة . فلم يعد الشعر تعبيرا عن أعمال مجيدة قامت بها قبيلة أو قام بها فرد . ولم يعد تسجيلا لأحداث يفتخر بها أفراد القبيلة حتى تسير مع الركبان وتكون حديث الدهور . ولم يعد تعبيرا سياسيا أو دينيا يتحمس للأمويين على العلويين أو للخوارج على المرجئة . ولم يعد شعرا تسم به المجالس ويتناول أحداثا جزئية من أحداث الحياة . ولم تعد وظيفته أن يكون سجلا يحفظ وقائع العرب كما كان في الجاهلية أو يقوم مقام الخطابة والصحافة كما كان أيام النبى وأيام الأمويين . ولم يعد وسيلة لارضاء كبرياء الولاة والأمراء والخلفاء والتماسا لعطائهم كما كان عند العباسيين . وإنما أصبح تعبيرا ذاتيا عن احساسات انسانية تجاه عواطف انسانية عامة لا صلة بينها وبين حادث معين أو واقعة معينة أو شعب معين أو جنس معين أو جيل معين . وأصبحت وظيفته هى ارضاء حاجات نفسية ثابتة في طبيعة النفس الانسانية سواء أكانت نفس أمير أم صعلوك . هذا هو المفهوم الجديد للأدب . وقد طبقه عبد الرحمن شكرى على شعره تطبيقا دقيقا فلا تكاد نجد له في ديوانه قصيدة قاطا في مناسبة الا التذرا القليل . وتبعه شعراء الاسكندرية الآخرون فلم يشغلهم شعر المناسبات عن شعر الوجدان .

ولكن التعبير عن العواطف لابد أن يتم من طريق اللغة . فاللغة هي المادة التي ينحت منها الشاعر صورته كما ينحت المثال صورته من الحجر والموسيقى من الأنغام والرسام صورته من الألوان . ولغة الشعرية قوالب هي الأوزان وللأوزان قيود هي القوافي . أما عن اللغة فلم يشر عبد الرحمن شكري أو غيره إلا إلى تبسيطها والرجوع بها إلى عهدها الأول عند ما كانت معبرة تعبيراً صادقاً لا تعمل فيه ولا تصنع . أما في التطبيق فقد استعمل الرمز وفعل غيره مثله . أما عن الوزن فلم يتعرض صاحب المدرسة له بقليل أو كثير بل احتفظ بالأشكال القديمة وصب فيها مادته الجديدة ، ولكن تعرض لها شاعر آخر من شعراء الإسكندرية هو خليل شيبوب ، أما الثقافة فقد زواج فيها وأرسل . وسعالج كلا منها معالجة تفصيلية ولنبدأ باللغة . ولكي نفهم حقيقة اللغة التي استعملها عبد الرحمن شكري نقرأ قصيدة من شعره اسمها حلم البعث ج ٣ ص ٣١ :

رأيت في النوم أني رهن مظلمة	من المتأبر مبتاً حوله رم
ناء عن الناس لا صوت فيزجني	ولا طموح ولا حلم ولا كلم
مطهر من عيوب العيش قاطبة	فليس بطرتي هم ولا الم
ولت أشقى لأمر لت أعرفه	ولت أسعى لعيش شأنه العدم
فلا بكاء ولا ضحك ولا أمل	ولا ضمير ولا يأس ولا ندم
والموت أظهر من خبث الحياة وان	راعت مظاهره الأحداث . والظلم
ما زلت في اللحدينا ليس يلحقني	نبع العدر وبني عن نبهه صمم
مرت على قرون لت أحفظها	عبرا كان مر في الآباد والعدم
حتى بعثت على نفخ الملائك في	أبواقهم وتنادت تلکم الرمم
وقام حولى من الأموات زعنمة	هو جاء كالليل جم بله عرم
فذاك يبحث عن عين له فقدت	وتلك تعوزها الأصداغ واللهم
وذاك يمشى على رجل بلا قدم	وذاك غضبان لا صاق ولا قدم
ورب غاصب رأس ليس صاحبه	وصاحب الرأس يبكيه ويختصم
ويحشون عن المرأة تخبرهم	عن قبح ما تترك الأحداث والعدم
جاءت ملائكة باللحم تعرضه	يلبس اللحم من أضلاعنا الوضم

رقدت مستشعرا نوما لا وهمهم      أتى عن البعث في نوم وبى صمم  
 فأعجلوني وقالوا قم فلا كمل      متجى من البعث ان الله محكم  
 قد مت مت في خير وفي دعة      وقد بعثت فسادا ينفع الندم  
 أستغفر الله من لغو ومن عبث      ومن جناية ما يأتي به الكلم

هذه الرؤيا التي رآها عبد الرحمن شكرى في وجدانه تذكرنا بالرؤيا  
 الخالدة التي رآها الشاعر دانتي عند ما قام برحله خلال الجحيم والمطهر  
 والجنة . وهذه الصورة التي يعرضها عبد الرحمن صورة فذة ربما لا نجد لها  
 نظيرا في الأدب العربي فلم يستطع أبو العلاء في رسالته عن الغفران أن يضع  
 لنا صورة حية قوية نابضة كهذه الصورة . والصورة التي يعرضها عبد الرحمن  
 هي صورة اليأس الشديد وتفضيل الفناء المطلق على حياة فانية . والموت  
 يسكرون ودعة وبعد عن الحياة الصاخبة بما فيها من حقد ولؤم ، ولذا فهو  
 يتصامم عند ما يسمع صوت نغير البعث فاذا ما أجبر على القيام فسيرى  
 صورة من الحياة التي كرهها بما فيها من تكالب وصرقة ونهب واغتصاب .  
 وتأتي الملائكة وقد جمعت أشلاء من اللحم تعطى كلا نصيبه منها حتى يغطي  
 عظامه . وهذه الصورة المرعبة صورة تدل على ثورة نفسية وتمرد وشك  
 في قيمة الحياة وشمرية منها . هذا تعبير رمزي عن الثورة النفسية وديوانه  
 مجموعة من هذه الرموز . فما هو الرمز <sup>(١)</sup> ؟ الرمز هو التعبير عن التجربة  
 بالصور وهو في شكله المبسط استمارة متوسع فيها . فاذا قال عبد الرحمن  
 شكرى ان الموت خير من الحياة وأن البعث لن يكون الا صورة متكررة  
 من هذه الحياة التي نحيها . فان تعبيره يكون عاديا ولكنه عبر عن هذا المعنى  
 بصورة الموت الواحدة وقد تبعها حياة البعث بما فيها من صور بشعة .  
 والتعبير الرمزي هذا له أصوله الفلسفية والنفسية عن العالم الخارجي وعن عالمنا  
 النفسى ، كما أن له أصولا ترجع الى فهم معين للغة ووظيفتها ، فالرمزيون

(١) يراجع محمد مندور المذاهب الأدبية تصل الرمزية ، ويقراً :

Dorothy L. Sayers : The Comedy of Dante Alighiere the Florentine, Hell-  
 Introduction: p. 11.

يؤمنون من الناحية الفلسفية بأن حقائق الحياة لا يمكن أن تتحرك في ذاتها وإنما تترك ظواهرها الخارجية فحسب والأ وجود للأشياء إلا في مداركنا نحن . وهذه المدركات موجودة في العقل الواعى ووراء هذا العقل الواعى عقل آخر غير واعى وهو العقل الباطن واللغة صلة بين ادراكنا والعالم الخارجى ، فإذا صح أن العالم الخارجى لا وجود له خارج الذهن البشرى ولا يتحلل الوجود إلا في الصور التى ندرکها عن هذا العالم فقد أنكر الشعراء على اللغة قدرتها على أن تنقل إلينا حقائق الأشياء وذهبوا إلى أنها لا تعدو أن تكون رموزاً تثير الصور الذهنية التى تلقيناها من الخارج أو كونها من الجمع بين أشتات من الصور التى تلقيناها من ذلك الخارج . وعلى هذا الأساس لا تصبح اللغة وسيلة لنقل المعانى المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد وإنما تصبح وسيلة للإيحاء . ولما كانت وظيفة الأدب هى توليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارئ فقد قالوا بأن الأدب لا يسمى إلى ثقل المعانى والصور المحددة وإنما يسمى إلى تشر العذوى ونقل حالات نفسية من الكاتب إلى القارئ أو على الأصح الإيحاء بها وبالتالي لا يسمى الأدب أو الشعر الرمزى إلا إلى نقل وقع الأشياء الخارجية أو الداخلية من نفس إلى نفس .

أما الناحية الثانية فهى الوزن . والوزن مشكلة خطيرة أساسية فى الشعر فمع انكار بعض المدارس الشعرية لقيمته واعتباره عرضاً لا يتصل بجوهر الشعر إلا أن هذه المدارس لم يكتب لها النجاح ولا تزال تتسكع فى تاريخ الأدب دون أن يعيرها الجمهور الفنى التفاتاً . والوزن هو مجموعة من الإيقاعات تتردد بنسب دقيقة متساوية فيحدث مجموعها نغماً . ولا يعرف أحد متى أنشئت هذه الأوزان وكيف نشأت . ولا نريد أن ندخل هنا فى تفصيل هذه المشكلة ، ولكن الذى يهمنا هو أن كل وزن فى اللغة يختص بمجموعة من التعبيرات والتأليفات اللغوية لا يستطيع الشاعر أن يتخلص منها إلا إذا أوتى مقدرة خارقة فى اللغة . وكلما امتد تاريخ اللغة وكثر شعراؤها صعب على الشاعر الجديد أن يعبر عن نفسه فى هذه الأوزان ويتخلص من التعبيرات القديمة التى قد تؤدي إلى اتهامه بالتقليد . وهذا - فى واقع الأمر - هو الذى جعل كثيراً من النقاد يهتمون البارودى وشوقى بالتقليد ، فالذى لا شك

فيه ان هؤلاء الشعراء قد عاجلوا موضوعات جديدة تتصل بعصرهم وتتصل بما جد في بيئاتهم من احداث. ولكنهم ما يكادون يبدأون قصيدتهم حتى تتوارد على أذهانهم التعبيرات اللغوية التي تتصل بهذا الوزن والتي قرأوها فيما قرأوا من شعر كبار الشعراء وهم في اللغة العربية كثيرون . ومع أن عبد الرحمن شكري قد ابتدع لنفسه لغة جديدة يعبر بها عن أفكاره وهي لغة الرمز وقد انجاء هذا من اتهام النقاد له بأنه مقلد إلا أنه لم ينبج من استعمال التعبيرات القديمة حتى لتكاد تنحس في بعض قصائده وهي جديدة في مادتها أنه يقلد القديما ، ولكن يظهر ان المشكلة لم تكن ذات أهمية كبيرة في نظره واكفى بلغة الصور هيلة التي استعملها . والشاعر الذي أحس بهذه المشكلة احساسا قويا وقام فيها بمحاولات هو خليل شيبوب . فقد حاول ما يحاوله الأوروبيون من كتابة قصيدة في وزن من الأوزان يبدو الوزن في بعض أبياتها كاملا وفي بعضها مجزؤا ، وكتب قصائد أخرى خلط فيها بين الأوزان . يقول تعليقا على قصيدة الشراع وهي قصيدة لم تنشر <sup>(١)</sup> « الشعر المطلق أو الشعر الحر غير الشعر المنثور لأن ثمر الشعر انما هو اقتعاله من قيود الوزن والقافية فان حفظت القافية صار هذا الشعر نثرا مجعما وكبنا الأديبة طافحة بالنثر المسجع أما الشعر المطلق فلهبه في الاحتفاظ بالوزن فقط ، أما القافية فقد اختلفوا في ابقائها أو اغفالها وقد آثرنا ابقائها في هذه القصيدة وان كل شطر من هذه القصيدة يرجع الى مثله من محور الشعر أو من مجزئتها . وقد تفر الأذن من مثل هذه القصيدة في بادئ الأمر من تآكر الأوزان والتفاعيل . ولكن من يطلو القصيدة مرتين لا يلبث أن ترجع أذنه بحكم التكرار نغمة الوزن المفقودة . وفي هذه القصيدة أبيات تامة أوحىها المناسبة » . والقصيدة هي :

جلست ذات مساء مرسلا بصري  
الى هذه الآفاق وهي بواهم

(١) أخذت هذه القصيدة من الأستاذ صديق شيبوب الذي يحمل بحريدة البعير وهو قريب الشاعر ولا زالت القصيدة مخطوطة .

وتوقد النار في عزى وفي فكري  
عواطف صدى أهن مضارم  
هدأ البحر رحيا بملأ العين جلالا  
وصفا الأفق ومالت شمه ترنو دلالا  
وبدا فيه شرع

كخيال من بعيد يتمشى  
في بساط مائج من نبع عشب  
أو حمام لم يجد في الروض عشا  
فهو في خوف ورعب  
أنه غيمة سرت في سماء  
قد صفت زرقها  
لكنما هذا صباح طائر  
مرفرف في ملعب الضياء  
يجر زورقا على الدماء  
والشمس في الأفق بدت صفحتها  
أكبر يا قوتة كنز فاخر  
وقفت وراء ثمامة بيضاء  
شفافة كالبرقع الشفاف  
سكبت أشعة نورها في الماء  
فكأنها عمود العقيق طواق  
حلت تصور مدينة غناء  
منها بواد في النوا وحواق  
والنار شاملة لكل بناء  
متوقد خلف الغمام الصافي  
ترسل العين لحظها لاختراق  
ذلك الغيم وهو في ابراق  
شاهد حال بلعدة في احتراق

نزلت شمس المساء  
 في مجنالي الليلاء  
 تنهذى كمروس لبث ثوب الحياة  
 أشبعها في الماء حيات عقيان  
 قد انسن فيه لاعيات الى آن

ولست أدري ما القول في هذه المحاولة ، ولكن الذي لا شك فيه  
 انها محاولة تصدر عن فهم حقيقي لمعنى الوزن ، فليس الوزن كمية معينة  
 لهذه الإيقاعات ولكنه هو الإيقاعات نفسها . والذي يتفرعا من مثل هذه  
 المحاولات - وقد كان حقا ما لاحظته - هو تجاربا الطويلة في الوزن العربي  
 على شكله القديم ودراساتنا الطويلة لهذه الأشكال القديمة ، ومثل هذه  
 المحاولات تنقلنا الى جو لم نعود عليه ، كما أن التردد للكمية معينة من التوقعات  
 طبيعة شرقية تبدو في أغانينا ونطرب لها أشد الطرب وتتوقع وروذها دائما .  
 والخروج بنا عن هذا خروج بنا عما الفناء . ولكن في هذا التنوع تجديدا  
 لنشاطنا النفسى حتى لا تقع نفوسنا تحت تأثير مخدر الوزن فتغفل  
 عما في القصيدة من إبداعات وإيماءات .

والقافية احدى هذه القيود الشعرية التي عرفها الشعر العربي في تاريخه  
 القديم ، وقد رماها المجددون بهم كثيرة وعزوا انصراف الشعراء العرب  
 عن الشعر التمثيلي اليها وكانت أول القيود التي ثاروا عليها . وقد نظم عبد الرحمن  
 شكري قصائد كثيرة متخلصا فيها من هذا القيد يقول في قصيدة برسلة  
 في الجزء الأول ص ٧٠ :

خليلي والأخاء الى جفاء	إذا لم يغذه الشوق الصحيح
يقولون الصحاب ثمار صدق	وقد تبلو المرارة في الثمار
شكوت الى الزمان بنى اخائى	فجاء بك الزمان كما أريد
أراني قد ظفرت بذبي وفاء	له خلق يضيق عن الزبلاء
أظل اذا رأيتك مستغزا	كأنى قد جرعت من العقار

يؤم بي العلاء أخ وجيف  
تقبل طرفة لك من حليل  
فان اك محسنا قلب غر  
وان اك محطنا فالفضل يقوى  
لعلك واجد علرا صريحا  
وتنت في أجنحة النور  
وقد يهدى الصديق الى الصديق  
أصاب الفضل في المحض اللباب  
من الخطأ المين عن الصواب  
اذا عجز تعرض للقهقري

ويقول في قصيدة مزدوجة بعنوان ثورة النفس ج ٢ ص ٧٠ :

وللنفس في بعض الأحيان ثورة  
فيا نفس كم فيض لما ليس حادثا  
هياج كما هاجت قطاة تعلقت  
فهل تحسبن نأتما كل ساكن  
نعم ان للشلال روعا وهية  
نعم للرياح الموج هول وقوة  
اغرك من هدى الطبيعة انها  
تثور فلا يقوى عليها المغلب  
يكاد لها جسم الفنى يتمزق  
وحسام آمل لديك تحرق  
ياحولة الصياد اذ ليس مهرب  
وهل تحسبن مينا كل هاجع  
ورب جلال للعواطف رائع  
ولبحر أمواج عليه تهبج  
تنور فلا يقوى عليها المغلب

وتبدو هذه المحاولة غريبة أيضا ذلك لأننا قد تعودنا أن نتوقع وأن نترقب  
الثقافية وعند ما تنغر نفاقاً ويقطع علينا جبل المشعة . وتنبه الى أن الشاعر  
قد غير ما تعودنا عليه فنثور وفي هذه الثورة إفساد للمتعة الشعرية ، وصرف  
لنا عن مجازاة الشعر وفي هذا تنبيه للقوى العقلية التي يحاول الشعر جاهدا  
أن يحدوها .

- ٦ -

يجمل القول اذن هو ان عوامل جديدة قد نهت الوعي القوي الى حاجات  
اقتصادية واجتماعية وسياسية غير التي الفها الناس فنهته الى أحاميس وأفكار  
لم يكن له بها عهد فغيرت نظرتة الى الحياة ، وبتغير هذه النظرة ظهر نوع  
جديد من الشعر يعبر عن وجدان الانسان بما فيه من أحاميس وتجارب  
ووظيفته ارضاء حاجات الانسان النفسية وقد اتخذ لنفسه لغة حديثة هي لغة  
الرمز ، واتخذت هذه اللغة اشكالا جديدة في بعض الأحيان . وقد استمرت  
مدرسة الاسكندرية هذه محافظة على هذه التقاليد الجديدة . فليس ديوان

السحرقى أو عبد اللطيف النشار أو عثمان حلمى إلا استمرار المفهوم الشعر لدى صاحب المدرسة وان كلن بعضهم قد أخذ يبحث عن منابع جديدة غير الأدب الأوروبى يستمد منها وحيه . وأهم هذه المنابع الجديدة هى التراث الفرعونى القديم والأدب الشرقى من يابانية وصينية وهندية وفارسية وما الى ذلك ، ودلالة هذا الاتجاه قوية إذ أن هذا الأدب الفرعونى كما يتضح فى كتاب سليم حن عن الأدب الفرعونى أدب دينى لغته رمزية ، وآداب اللغات الشرقىة أيضا كما تبدو مما ترجموه عنه - آداب رمزية . وهكذا كتب على الاسكندرية أن يتصل حاضرها بماضيا فقد كتب أفلوطين فلسفته بلغة رمزية صعبت على الافهام فى بعض الأحيان ، ونشطت فيها الحركات الصوفية فى العصور الاسلامية المختلفة ثم كان اتجاهها الحديث اتجاها رمزيا أيضا . ولم يقبل العقد الثالث من هذا القرن الا وكان هناك تحول كبير فى اتجاه الأدب . فقد نشطت مطابع الاسكندرية فى اخراج دواوين الرجل . فقد ظهرت أزجال ابن مصر سنة ١٩٢٥ وأزجال أبو صلاح سنة ١٩٣٤ وأزجال أبو كمال سنة ١٩٣٥ وأزجال الخولى سنة ١٩٣٧ وأزجال مصر لميلاد واصف سنة ١٩٣٣ ووحى الوطن سنة ١٩٣٩ . وكاد أن يتلاشى نشر دواوين الشعراء اللهم الا نشر مجموعات قديمة من شعر بعض الأحياء منهم . كما بدأ ظهور كتب النقد فظهر كتاب عن الزهاوى الشاعر لأحمد ابراهيم ، وكتاب عن شعراء الطبيعة لمصطفى السحرقى .

وقوى هذا التحول بانشاء جامعة الاسكندرية ووجود قسم اللغة العربية بها لتدريس اللغة والأدب والنقد تدريسا علميا يقوم على مناهج صحيحة ، وأهم ما أنتجه القسم حتى الآن من الوجة النقدية كتابان هما « من الوجة النفسية » لمحمد خلف الله ، والثانى كتاب « تاريخ النقد والمذاهب الأدبية » لطفه الحاجرى . والكتاب الأول فو خطر عظيم إذ أن صاحبه يحاول أن يرجع أسباب تأثرنا بالأدب الى عوامل نفسية ، ويحاول أن يتلمس أصول هذه النظرية الحديثة فى كتب الأقدمين وهو مذهب قد أصبح طابع العصر فى النقد فى مصر جميعا ، فقد تلته دراسات نقدية كثيرة تعتمد على ما وصل اليه علم النفس من حقائق عن النفس البشرية . أما الكتاب الثانى فهو محاولة لم تتم بعد لتاريخ النقد العربى منذ العصر الجاهلى وتأثير البيئة الأدبية على معايير النقد .

وقبل أن نختم هذا البحث نسأل أنفسنا السؤال التالي : لم لم يستجب الجمهور المثقف استجابة قوية لهذه المدرسة الجديدة ؟ ولنضع السؤال بشكل أكثر وضوحا : لم استجاب الجمهور استجابة قوية لشعر شوق وحافظ ولم يستجب الا استجابة خافتة لهذه المدرسة الجديدة التي نشرت أجنحتها في مصر جميعا ؟

وأسياب ذلك كثيرة متعددة أولها هو انعزال هؤلاء الشعراء ، فقد قوى الوعي القومي في مصر من الناحية السياسية قوة عارمة بما في هذا الوعي من شعور اسلامي وتمسك بالقديم ورغبة في أن يكون الجديد استمرارا لهذا القديم لا قطعاً له وانصرافاً عنه ، ففي الوقت الذي تغنى هؤلاء الشعراء فيه بروح فردي ذاتي لا يستقيم الا في مجتمع خلا من المشاغل العامة التي تربط بين أجزائه المختلفة وتوحد بين أغراضه وأهدافه وتبصر لكل فرد أفكاره وآماله وأحاسيسه ، اتحد الناس جميعا نحو هدف قومي وهو الاستقلال وما يتطلبه هذا الاستقلال من نهضة علمية شاملة ونهضة اقتصادية تحقق للفرد عيشة رغدة مطمئنة وتحقق للمجتمع سيطرة شاملة على امكانيات بلاده . وقد استجاب من سوا بأصحاب الشعر القديم لهذا الاتجاه الجديد وكان مدحهم وريثاؤهم وشعرهم على الاطلاق في أشخاص تصدروا لقيادة الأمة وكان كل منهم رمزا لما يتطلبه المجتمع من المستقبل ، فكان مصطفى كامل وصعد زغلول مثلاً رمزا للحركة الاستقلالية السياسية ، وكان لطفي السيد رمزا للتحرير الفكري والنهضة العلمية ، وكان طلعت حوب رمزا للخبرة الاقتصادية والتحرر من تغفل الأجانب في مرافق البلاد . وكان طبعاً أن يستجيب الناس لما يقال من شعر فيهم وفي الأحداث التي تمس هدفهم الأسمى ، كان شعر شوق وحافظ شعرا جماعيا . كان الشعر الذي تطرب له القبيلة جميعا وتثور له وهو يناسب هذه الروح الثورية التي كانت تغفل في أفراد الشعب وتوحد بينهم جميعا في حين كان شعر هذه المدرسة شعر التأمل الفردي الذي يقرأه الشخص منفردا في حجرته .

والسبب الثاني فيما نرى سبب لغوي ، فاللغة هي مادة الأديب التي يأخذ منها صورته وقد تفوق شعراء كثيرون في تاريخ الانسانية على معاصريهم وبرزوا في تاريخ الأدب مجرد قدرتهم اللغوية وشعورهم الخاص بما لاتصال وحدات اللغة وهي الكلمات من نغم ومعنى ، فان هذا يقوده الى خلق تعبيرات وإيقاعات جديدة شخصية تصبغ سائرة بمضى الزمن . وهم بما يفعلون يجددون جوهر الشعر نفسه ولغة عصرهم وإيقاع الكلام فيه . وهم يعملون لخلق الوسيلة التي يستخدمونها ويوحون لمن يأتي بعدهم ولمعاصريهم بقرارات جديدة للغة وبامكانيات جديدة للتعبير الشعري . ويبدو هذا اذا قارنا بين شاعرين كتشوسر ولانجلاند . فع ما للانجلاند من عاطفة ملتهبة متقدة ، واحساس ديني عميق ، وتنبه يقظ لوجود الله الخالق داخل هذا الوجود الزائل مما يفوق شعور تشوسر السطحي ، الا أن تشوسر أخذ في تاريخ الأدب الانجليزي من زميله . فقد كان احساسه اللغوي أعمق من احساس زميله كما كان ماهرا في صياغة قاموس لغوي واسع ، موافقا في اختيار كلماته ، يستطيع أن يستخدم العادى منها والغريب جنبا الى جنب قاستطاع أن يجمع بين الجمال والقوة . وهذه هي الصفة التي جعلت دريدن يفوق علي بوب في حين أنه أكثر حماسية ودقة وفهما للحياة الانسانية ، ولكنه ينقص ما للريدن من جرأة لغوية وقوة في استعمالها وقدرة على تنويع أنغامه بشكل يترك الإيقاع حيا متدفقا متفرزا داخل اطار الوزن . وهذا - وهو ما يعرف بالخيال المسموع عند اليوت - يفوق شيكبير على جميع شعراء الانجليز ويضمن له خلودا أبدا الدهر ، فقد حصل على لغته بقدرة على الاختراع والنحت والاشتقاق ، وجرأة لغوية لا نظير لها عند الشعراء . وهذه الصفة هي التي جعلت من المتنبي شاعرا خالدا في تاريخ الشعر العربي والتي جعلته يخفت صوت شاعر كبير ضخم كأبي فراس . وهذا نفسه هو السبب الذي جعل شوقي شاعر العربية الأول ، فقد أوتي الرجل قدرة لغوية عارمة تتضاءل أمامها قدرة الشعراء المجددين وأوتي استرسالا الأهيا بحيث تنساب قصيدته من أولها الى آخرها دون أن يحس الانسان أن الرجل يتعثر في انتقاء كلماته أو البحث عنها . وكان من حظ هذه المدرسة - التي سميت بالمدرسة القديمة ان كان على رأسها شوقي .

والسبب الثالث فيما نرى هو قلة انتاج هؤلاء الشعراء ، فلا يكفي أن يحدد المحدد ويلومنا اذا لم يستجيب الناس اليه . فلا بد أن يكون الشاعر الكبير غزير الانتاج ، ولا بد أن يثبت لنا أنه قد نجح في استخدام أحد الأشكال الشعرية الكبرى لكي نمتحن قدرته على الخلق والتوزيع ، فلا يستطيع شاعر أن يطالبنا بمكانة عظمى في تاريخ الأدب اذا كتب مجموعة من الشعر الغنائى فحسب . ثم عليه أن يخلق ذوقا فنيا جديدا نستطيع أن نتذوق به شعره شأنه في ذلك شأن المغنى أو الموسيقى الجديد .

ترى ماذا يقول عبد الرحمن شكرى - ولا زال الرجل حيا يقاوم آلام الشيخوخة - في تقديرنا لمدرسته ومدى نجاحها ، سأقولها عنه مرددا ما قال كاتب كبير عن ناقد أيضا .. ان الناقد فنان فاشل قعدت همته عن أن يحقق المثل القوية التي كان يطمح اليها فانصرف الى النقد .. وأنا هذا الناقد .